الفَصْلُ السَّابِعُ
خُطَبٌ دِينِيَّةٌ

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) مواعظ لخلفاء بني أمية وأمرائهم وعمالهم

١ ـ مَوْعظَةٌ لمعاوية بنِ أبي سُفْيَانَ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦:٧٢٦
والبداية والنهاية في التاريخ ٨:١٣٤

قالَ مُعَاوِيةُ بنُ أبي سُفْيَانَ على مِنْبَرِ دمشقَ يومَ جُمُعةٍ:

«أيُّها الناسُ، اعْقِلُوا[١] قَوْلي، فلنْ تَجِدُوا أعْلَمَ بأُمُورِ الدنيا والآخِرَةِ مني. أقِيمُوا وجُوهَكُمْ وصُفُوفكمْ في الصَّلاةِ، فلَتُقِيمُنَّ وجُوهَكُمْ وصُفُوفكم في الصَّلاةِ أو لَيُخَالِفَنَّ[٢] اللهُ بينَ قُلُوبكم. خُذُوا[٣] على أيْدي سُفَهائِكم، أو لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عليكم، فَليَسُومنَّكم[٤] سُوءَ العَذابِ. تَصدَّقُوا ولايَقُولُ الرَّجلُ: إنيٌّ مُقِلٌّ[٥]، فإنَّ صَدَقةَ المُقِلِّ أفضَلُ من صَدَقةِ الغَنيِّ. إيَّاكُمْ وقَذْفَ المُحْصناتِ[٦] وأنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: سَمِعْتُ وبَلَغني، فلو قَذَفَ امْرأةً على عَهْدِ نُوحٍ لَسُئِلَ عنها يومَ القِيامةِ».

---

(١) عَقَلَ القَوْلَ: فَهِمَهُ.

(٢) خالَفَ اللهُ بينَ قُلوبهم: أي تَفَرَّقُوا وابْتَعَدَ بعضُهم عن بعضٍ، وكَرِهَ كلٌّ منهم صاحِبَهُ وأبْغَضَه. وفي الحديث: «سَوُّوا صُفُوفكم ولاتَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلوبُكم»، أي إذا تَقَدَّم بعضُهم على بعضٍ، في الصَّفوفِ تأثَّرتْ قُلوبهم، ونَشَأ بينَهم الخُلْفُ. وفي الحديث: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفكم أو لَيُخالِفَنَّ اللهُ بينَ وجُوهِكم»، يريدُ أنَّ كلاً منهم يَصْرِفُ وَجْهَهُ عن الآخر، ويُوقِعُ بينهم التَّباغُضَ، فإنَّ إقبالَ الوَجْهِ على الوَجْهِ من أثرِ المودَّةِ والأُلْفَةِ. (اللسان: خلف).

(٣) أخَذْتُ على يدِ فلانٍ: إذا مَنَعْتَهُ عمَّا يريدُ أنْ يَفْعَلَهُ، كأنَّكَ أمْسَكْتَ على يَدِهِ.

(٤) سَامَهُ سُوءَ العذاب: جَشَّمَهُ أشَدَّ العَذاب.

(٥) المُقِلُّ: الفقير.

(٦) قَذْفُ المُحْصَناتِ: رَمْيُ العَفائفِ من النِّساءِ بالزِّنا.

٢ ـ مَوْعظَةٌ لِمُعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

البيان والتبيين ٢:٤٥
وعيون الأخبار ٢:٢٣٧
والعقد ٤:٨٨
وإعجاز القرآن ص: ١٢٣
وشرح نهج البلاغة ٢:١٧٤

لـمَّا حَضَـرَتْ مُعاويـةَ الوفـاةُ قـالَ لمـولى لـه: مَـن بالبـابِ؟ قـالَ: نَفَـرٌ مـن قريـشٍ يَتَباشرونَ بموتِكَ! فقال: وَيْحَكَ! و لِمَ؟ قالَ: لاأدْري!قالَ: فوا للهِ مالهم بَعْدي إلاَّ الذي يَسُوؤُهم. وأَذِنَ للنَّاسِ، فَدَخَلُوا، فحمدَ ا للهَ وأثْنى عليهِ وأوجزَ، ثمَّ قال:

أيُّها النَّاسُ، إنَّا قد أصْبَحْنَا في دَهْرٍ عَنُودٍ(١)، وزمنٍ شَدِيدٍ(٢)، يُعَدُّ فيه المُحْسِنُ مُسِيئاً، ويَزْدَادُ فيـه الظَّالـمُ عُتُـوًّا(٣)، لا نَنْتَفِـعُ بمـا عَلِمْنَـا، ولا نَسْـأَلُ عمـا جَهِلْنَـا، ولانَتَخَـوَّفُ قارعةً(٤)حتى تَحِلَّ بنا، فالناسُ علىأربعةِ أصنافٍ: منهم مَن لايَمْنَعُـهُ الفسـادُ في الأرضِ إلا مهَانـةُ(٥) نفسـهِ، وكَلالَـةُ حـدِّه(٦)، ونَضيـضُ وَفْـرِهِ(٧). ومنهـم المُصْلِـتُ(٨) لسـيفِهِ، والمُجلبُ(٩) بخيله ورَجْلِهِ، والمُعلنُ(١٠) بِشـرِّهِ، قـد أشْـرَطَ نَفسـهُ(١١)، وأوبَـق دينـه(١٢)،

---

(١) العَنُود: الجائر.

(٢) الشديد: البخيل.

(٣) العُتُوُّ: الاسْتِكبارُ ومُجاوزةُ الحَدِّ.

(٤) القارعة: الدَّاهية المُهْلكة، والنَّازلةُ الشديدة، والخَطْبُ الذي يَقْرَعُ أي يُصيبُ.

(٥) مهانة نفسه: ذُلُّها وضَعْفُها وحَقَارتُها.

(٦) كَلالَةُ حدِّه: أي أنه كالسَّيفِ الذي انثلمَ حَدُّه فهو لايَقْطَعُ.والمراد عجزه وتقصيره.

(٧) نَضيضُ وَفْرِهِ: قِلَّةُ ماله.

(٨) أصْلَتَ سَيْفَهُ: سَلَّهُ من غِمْدِهِ.

(٩) أجْلَبَ عليه بَخيله ورَجْلِهِ: جَمَعَ له وتألَّبَ عليه بفُرْسَانه ورَجَّالته، أي أعانَ عليه.

(١٠) أعْلَنَ الشَّرَّ وأعْلَنَ به: أظْهَرَه وأشاعه.

(١١) أشْرَطَ نفسه: هَيَّأها وأعَدَّها وقَدَّمَها للفَسادِ في الأرض.

(١٢) أوْبَقَ دينَهُ: أهْلَكَهُ.

لِحُطامٍ يَنْتَهِزُه[١]، أو مِقْنَبٍ[٢] يقودُهُ، أو منبرٍ يَفْرَعُهُ[٣]، ولَبِئسَ المَتْجَرُ أنْ تَرَى الدنيا لِنَفْسِكَ ثَمناً، ولَمّا لك عندَ اللهِ عِوَضاً[٤]. ومنهم مَن يَطْلُبُ الدنيا بعملِ الآخرةِ، ولا يطْلُبُ الآخرةَ بعملِ الدنيا، قد طامَنَ من شَخْصِهِ[٥]، وقَارَبَ مِنْ خَطْوِه[٦]، وشَمَّرَ من ثَوْبِه[٧]، وزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ[٨] للأمانة[٩]، واتَّخَذَ سِتْرَ[١٠] اللهِ ذريعةً[١١] للمَعْصِيةِ. ومنهم مَنْ قد أقْعَدَهُ[١٢] عن طَلَبِ المُلكِ ضُؤُولةُ نَفْسِهِ[١٣]، وانْقِطاعُ سَبَبِه[١٤]، فَقَصَّرَتْ بِهِ الحالُ عن أمَلِهِ، فَتَحَلَّى باسمِ القَناعةِ[١٥]، وتَزَيَّنَ بلباسِ أهلِ الزَّهادَةِ[١٦]، وليسَ مِنْ ذلكَ في مَرَاحٍ[١٧] ولامَغْدَى[١٨]. وبقيَ رِجَالٌ غَضَّ[١٩] أبصارَهم ذكرُ المَرْجِعِ، وأراقَ دُموعَهم، خوفُ المَحْشَرِ، فهم بين شَرِيدٍ

---

(١) لِحُطامٍ يَنْتَهِزُهُ: لمالٍ يَختَلِسُهُ، أو يَتناوَلُهُ ويَغْتَنِمُهُ.

(٢) المِقْنَبُ: الجماعةُ من الخيلِ مابين الثلاثين إلى الأربعين.

(٣) يَفْرَعُه: يَعْلُوه.

(٤) العِوَضُ: البَدَلُ والخَلَفُ.

(٥) طامَنَ مِنْ شَخْصِهِ: خَفَضَ جِسْمَهُ وانْحَنَى وتَظاهَرَ بالخُشُوعِ.

(٦) قَارَبَ مِنْ خَطْوِه: لم يُسْرِع ومَشَى رُوَيْداً.

(٧) شَمَّرَ من ثَوْبِهِ: قَصَّرَهُ.

(٨) زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِه: حَسَّنَ ونَمَّقَ وزَيَّنَ.

(٩) للأمانة: أي صَنَعَ ذلك ليخدَعَ الناسَ حتّى يأمَنُوهُ على مافي أيديهم.

(١٠) سِتْرُ اللهِ: مُواراةُ اللهِ لِمَساوئِهِ وصَوْنُه لها. ونَقيضُه هَتَكَ اللهُ سِتْرَهُ أي اطّلَعَ على مساوئه.

(١١) الذريعة: الوسيلة.

(١٢) أقْعَدَه: حَبَسَهُ ومَنَعَهُ وأعْجَزَهُ.

(١٣) ضُؤولة نفسه: حقارتها.

(١٤) انقطاع سَبَبه: أي وُصْلَتُهُ وَوَسِيلَتُهُ.

(١٥) القناعة: الرِّضا باليسير.

(١٦) الزَّهادةُ: العِبَادة وانعِدامَ الرَّغْبَةِ والحِرْصِ على الحياة.

(١٧) المَرَاحُ: الرَّواح، أي السير بالعَشِيِّ.

(١٨) المَغْدَى: الغُدُوُّ، أي السير في أوَّل النَّهار.

(١٩) غض بَصَرَهُ: كَفَّه وخَفَضَهُ وكَسَرَهُ.

نافرٍ[١]، وخائفٍ مَقْمُوعٍ[٢]، وساكتٍ مَكْعُومٍ[٣]، وداعٍ مُخْلِصٍ، وثكلانَ[٤] مُوجعٍ، قد أخْمَلَتْهُمُ التَّقيَّة[٥]، وشَمِلَتْهُمُ الذِّلة، فهم في بحرٍ أُجَاجٍ[٦]، أفواهُهم ضامزة[٧]، وقلوبُهم قَرِحَةٌ،[٨] قد وُعظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِرُوا حتى ذَلُّوا، وقُتِلُوا حتى قَلُّوا. فلتكنِ الدُّنيا في أعْيُنِكم أصغرَ مِن حُثالةِ القَرَظِ[٩]، وقُراضَة الجَلَمِ[١٠]، واتَّعظُوا بمنْ كانَ قبلَكُمْ قبلَ أنْ يَتَّعِظ بكم مَنْ كانَ بَعْدَكم، وارفُضُوها[١١] ذميمةً، فإنَّها قد رَفَضَتْ مَنْ كانَ أشغَفَ[١٢] بها منكم».

٣ ـ خُطْبَةٌ ليزيدَ بنِ مُعاوية

العقد ٤:٨٩

خطَب يزيدُ بنُ مُعاويةَ الناسَ وَوَعظهم، فقال:

«الحمدُ لله أحمدُهُ وأستعينه، وأُومن به وأتوكّل عليه، ونَعوذ بالله من شُرورِ أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا. مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحدَه لاشريك له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، اصطفاه لوَحْيه، واختاره لرسالته، بكتاب فَصَّله وفَضَّله، وأعزَّه وأكْرَمه، ونَصره وحَفِظه، ضرَب فيه الأمثال، وحلّل فيه الحلال، وحرَّم فيه الحرام، وشَرَع فيه الدِّين إعذاراً[١٣] وإنذاراً، لئلا يكونَ للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل ،

(١) النَّافر: النّادُّ المُنْفَرِد.

(٢) المَقْمُوعُ: المَقْهُور.

(٣) المكعُومُ: السّاكت، من كَعَمْتَ البعيرَ إذا شَدَدْتَ فمه.

(٤) الثَّكلان: الذي فَقَدَ وَلَدهُ أوحبيبه.

(٥) التَّقيَّة: المداراة.

(٦) الأُجاج: المالح.

(٧) ضامزة: ساكتة مُمْسِكةٌ عن الكلام لاتَتحرَّكُ ولاتَنْطِقُ.

(٨) قرحة: مجروحة متألمة.

(٩) القَرَظُ: وَرَقُ السَّلَمِ يُدبَغُ به، وحُثَالَتُهُ: مايَسْقُط منه.

(١٠) الجَلَمُ: المقصُّ تُحَزُّ به أوبارُ الإبل، وقُراضَتُهُ: مايَقَعُ من قَرْضِهِ وقَطْعِه.

(١١) ارْفُضُوها: يعني الدنيا.

(١٢) أشْغَفُ بها: أكثرُ حُبّاً لها وأشَدُّ ولَعاً بها.

(١٣) أعذر إعذاراً: أبْدَى ما يُعْذَرُ به.

ويكونَ بلاغاً لقومٍ عابدين[١]. وأُوصيكم عبادَ ا لله بتقوى ا لله العظيم، الذي ابتدأَ الأمور بعِلْمه، وإليه يَصير مَعادُها، وانقطاع مُدَّتها، وتَصرُّم دارها. ثم إني أُحَذِّركم الدُّنْيا، فإنها حُلْوَة، خَضِرَة[٢] حُفّت بالشَّهوات، ورَاقتْ بالقليل، وأَينعت بالفانِي، وتحبَّبت بالعاجل، لا يَدومُ نَعيمها، ولا يؤْمَن فجيعُها، أكَّالة غَوَّالة، غرَّارة، لا تُبْقي على حال، ولا يَبْقى لها حال. ولن تَعْدُو الدنيا إذا تناهت إلى أُمْنيَّة أهل الرَّغبة فيها، والرِّضا بها، أَن تكون كما قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٥]، إلى قوله ﴿مُّقْتَدِرًا﴾. نسأل ا لله ربَّنا وإلهنا وخالقِنا ومولانا أن يجعلنا وإيا كم من فَزَع يومئذ آمنين. إن أحسَن الحديثِ وأبلغَ الموعظة كتابُ ا لله، يقول ا لله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. أعوذ با لله من الشيطان الرَّجيم، بسم ا لله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة.

٤ـ خُطْبَةٌ لعُتْبَةَ بنِ أبي سُفيان

العقد ٤: ١٣٨

لـمَّا اشْتَكَى عُتْبَةُ بنُ أبي سفيان شكَاتَهُ التي مات فيها تَحاملَ إلى المِنْبَر، فقال:

« يـاأَهْلَ مِصْرَ، لا غِنَى عن الرَّبِّ، ولا مَهْرَبَ من ذنبٍ. إنَّه قد تَقَدَّمَتْ مني إليكم عُقُوباتٌ، كنتُ أَرْجُو يومئذٍ الأجرَ فيها، وأنا أخافُ اليومَ الوِزْرَ[٣] منها. فَلَيْتَني لا أكونُ اخْتَرْتُ دُنْيايَ على مَعَادي، فأصْلَحْتُكم بفَسادي. وأنا اسْتَغْفِرُ ا لله منكم، وأتُوبُ إليهَ فيكم، فقد خِفْتُ ماكنتُ أَرْجُو نَفْعاً عليه، ورجوتُ ماكنتُ أخافُ اغتيالاً[٤] به، وقد شَقِيَ مَنْ هَلَكَ بين رحمةِ ا للهِ وعُقُوبته. والسلامُ عليكم سلامَ مَنْ لا تَرَوْنَهُ عائداً إليكم».

---

(١) عابدين : أي همهم العبادة .

(٢) خضرة : ناضرة .

(٣) الوِزْر: الذَّنْبُ.

(٤) الاغتيال: الهلاك.

٥ ـ مَوعِظَةُ عُتْبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ لابنِه عَمْرٍو

العقد ٣: ١٥٤

لمَّا بَلَغَ عمرُو بنُ عُتْبَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قال له أبوهُ:

«يا بُنيَّ، قد تَقَطَّعَتْ عنك شَرائعُ[١] الصِّبَا، فالزَم الحَياء تَكُنْ من أهْلِهِ، ولا تُزَايِلْهُ[٢] فَتَبِينَ[٣] منه. لا يَغُرَّنَّكَ[٤] من اغْتَرَّ[٥] با للهِ فيك، فمَدَحَك بما تَعْلَمُ خلافَه من نَفْسِك، فإنَّه مَنْ قالَ فيكَ من الخيرِ ما لم يعْلَمْ إذا رَضِي، قالَ فيكَ من الشَّرِّ مِثلَهُ إذا سَخِط. فاسْتَأنِسْ بالوَحْدَةِ من جُلساءِ السَّوءِ تَسْلَمْ من غِبِّ عَوَاقِبِهم[٦]».

٦ ـ مَوْعِظَةُ عُتْبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ لِبَنِيه

عيون الأخبار٢ : ٣٥١

قالَ عَمْرُو بنُ عُتْبَةَ: كانَ أبونَا لا يرْفَعُ المَواعظَ عن أسْمَاعِنا، فأرَادَ مرةً سَفَراً، فقال:

« يا بَنِيَّ، تَألَّفُوا[٧] النِّعمَ بحُسْنِ مجُاوَرتِها، والتمِسُوا المزيدَ فيها بالشُّكْرِ عليها. واعْلَمُوا أنَّ النُّفُوسَ أقبلُ شيءٍ لما أُعطيَتْ ، وأعْطى شيءٍ لما سُئِلَتْ، فاحْمِلُوها على مطيَّةٍ لاتُبطِيءُ إذا رُكِبَتْ، ولا تُسْبَقُ وإن تُقُدِّمَتْ، عليها نجا مَنْ هَرَبَ من النَّار، وأدرك مَنْ سابق إلى الجنَّةِ. فقال الأصاغرُ: يا أبانا ماهذه المطيةُ؟ قال: التَّوْبَةُ».

---

(١) الشَّرائع: جمع شِرْعة، وهي العادة والمذهب.

(٢) زَايَلَهُ : فارقهُ.

(٣) بان منه: انفصَل عنه.

(٤) غَرَّه: خَدَعَهُ وأطْمَعَهُ بالباطل.

(٥) اغْتَرَّ : قَبِل الغُرُورَ.

(٦) غِبِّ عَوَاقِبِهم: من إضافةِ الشَّيء إلى نَفْسِه، فَغِبُّ الأمر: عاقبته وآخره، والعواقب: جمع عاقبة، وهي آخر كل شيءٍ ونهايتُهُ وخَاتِمَتُهُ.

(٧) تَألَّفَهُ: استَمالهُ وقَارَبَهُ وآنَسَهُ ودَارَاهُ.

٧ ـ مَوْعِظَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

العقد ٤: ٩٢
وشرح نهج البلاغة ٥: ١٥٠

خطبَ عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الناسَ وَوَعظهم، فقالَ:

«إنَّ لكلِ سَفَر زادًا لا محالة. فتزوَّدُوا مِن دُنياكم لآخرتكم التَّقْوى، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ الله له من ثَوابه وعقابه، فتَرْهبوا وتَرْغَبوا. ولا يَطولَنَّ عليكم الأمد، فَتَقْسُوا قلوبُكم، وتَنْقادوا لعدوِّكم، فإنّه والله مابُسِط أملُ مَن لا يدري، لعلّه لايُصبح بعد إمسائه،أو يُمسي بعد إصباحه، وربما كانت بين ذلك خَطرات[١] المَنايا. وإنما يَطْمئن إلى الدُّنيا مَن أَمِن عواقبها، فإنّ من يداوي من الدنيا كَلْماً أصابت جراحةً من ناحية أُخرى، فكيف يَطْمئنُّ إليها؟ أَعوذ بالله أَن آمُركم بما أَنْهى عنه نَفْسي فَتَخْسَر صَفْقتي[٢]، وتَظْهَر عَيْلَتي[٣]،وتبدو مَسْكَنتي، في يومٍ لاينَفع فيه إلا الحقُّ والصِّدق».

٨ ـ مَوْعِظَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٧٢
وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٢٠٥

خطبَ عمُر بنُ عبدِ العزيزِ، فقالَ:

«مَنْ وَصَلَ أخاه بنصيحةٍ له في دينهِ، ونظرَ له في صلاحِ دنياه، فقد أحسنَ صِلَته، وأدَّى واجبَ حَقِّهِ. فاتَّقُوا الله فإنها نصيحةٌ لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظة منجية في العواقبِ، فالزَموها. الرزقُ مقسومٌ، فلن يعْدو[٤] المؤمنَ ما قُسِم له، فأجْمِلوا في الطَّلَبِ، فإنَّ في القُنوع[٥] سَعَةً وبُلْغةً، وكَفافاً. إنَّ أجلَ الدنيا في أعْنَاقكم، وَجَهَّنم أمامكم، وما تَـرَوْنَ ذاهبٌ، وما مَضى

(١) خطرات المنايا: من خَطَر الفحلُ بذنبه عند الصيال: أي حرّك كأنه يَتَهَدَّدُ، أومن خطر الرجل برمحه:إذا مشى بين الصَّفين كما يَخْطِرُ الفحل.
(٢) الصَّفقَة: البيعة.
(٣) العيلة: الفاقة والفقر والحاجة.
(٤) يعدو: يتجاوز.
(٥) القُنوُع: الرِّضا بما قُسِم.

فكأنْ لم يكُنْ، وكلٌّ أمواتٌ عن قريبٍ. وقد رأيتم حالات الميت وهو يَسُوق[١]، وبعدَ فراغه، وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمهُ الله. وعاينْتُمْ تَعْجِيْلَ إخراجهِ، وقِسْمةَ تُراثه، وَوَجْهُهُ مفقود، وذِكرُهُ مَنسِيٌّ، وبابُهُ مهجوّر، كأن لم يخَالطْ إخوانَ الحِفَاظ[٢]، ولم يَعْمُر الديارَ. فاتّقوا هْول يومٍ لا يُحقر فيه مثقالُ ذرة في الموازينِ».

٩ ـ مَوْعِظةٌ لعمَر بنِ عبدِ العزيزِ

الكامل للمبرد ٤: ١٠٨

قالَ عمرُ بنُ عبدَ العزيز في خُطْبَةٍ له:

«أيُّها الناسُ، إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ[٣]، وأجَلٌ مُنْتَقَصٌ[٤]، وبَلاَغٌ إلى دارٍ غيرِها، وسيرٌ إلى الموتِ ليس فيه تعْريجٌ. فرَحِمَ الله امْرَءًا فكَّرَ في أمرِه، ونَصَحَ لنفسه، وراقَبَ ربَّه، واستقالَ ذَنْبَه[٥]، ونوَّرَ قَلْبه! أيها الناسُ، قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخرجَ من الجنة بذنب واحدٍ، وأنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة، فليَكُنْ أحدُكم من ذنبه على وَجَلٍ، ومن ربه على أَمَل».

١٠ ـ مَوْعِظةٌ لعمَر بنِ عبدِ العَزِيزِ

الكامل للمبرد٤: ١٩
والتعازي والمراثي ص: ٤٦

خَطَبَ عمُر بنُ عبدِ العزيزِ النَّاسَ لـمَّا ماتَ ابْنُهُ عبدُ الملكِ، فقال:

الحمْدُ لله الذي جَعَلَ الموتَ حَتْماً وَاجباً على عباده، فسوَّى فيه بين ضعيفهم وقويِّهم، ورَفِيعهم ودَنِيِّهم، فقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النّهى[٦] منهم أنهم صائرونَ إلى قُبورهم، مُفْردون بأعمالهم. واعلمُوا أنَّ لِلـه مسألة فاحصةً[٧]، قال عزَّ وجَلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٢٣]».

---

(١) يَسُوقُ بنفسه: ينزع بها عند الموت.
(٢) الحفاظ: أي المحافظة على وده.
(٣) مُخْتَرَمٌ: مُنْقَطِعٌ.
(٤) منتقصٌ:غير مكتمل.
(٥) استقال ذَنْبَهُ: طلب الصَّفْحَ عنه.
(٦) النهى: جمع نهية، وهي العقل.
(٧) فاحصة: تكشف عن الأسرار.

١١ ـ مَوْعظةٌ لِعُمَر بنِ عبدِ العَزيزِ

التعازي والمراثي ص: ٤٧

خطب عمرُ بنُ عبدِ العزيز الناسَ بعدَ وَفاةِ ابنهِ عبدِ الملكِ، فقال:

«إنَّ الله، جلَّ ذكرُهُ، لم يجعلْ لمُسيءٍ ولا لمُحْسنٍ خُلوداً في الدنيا، ولم يَرْضَ بما أعجَب أهلها ثواباً لأهلِ طاعتِه، ولا ببَلائها عقوبةً لأهل مَعْصيتِه، فكلُّ مافيها من محبوبٍ متروكٌ، وكلُّ مافيها من مكروهٍ مُضمَحلٌّ. كتبَ على أهلها الفناءَ، وأخبرَ أنَّه يرثُ الأرضَ وَمَنْ عليها. فاتَّقوا الله، واعْملوا ليومٍ، ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]».

١٢ ـ مَوْعِظةٌ لعمَر بنِ عبدِ العزيز

أنساب الأشراف٨: ١٥١
واللسان: عرق

خطبَ عمُر بنُ عبدِ العزيزِ، فقالَ:

«أيُّها النَّاسُ أصلِحُوا من سَرائركم[1] تَصْلُحْ عَلانيتُكم، واعْمَلُوا لآخرتِكم تُكْفَوا أمْرَ دُنْياكم، فإنَّ امرءاً ليسَ بَينَهُ وبين آدمَ أبٌ حيٌّ لَمُعْرَقٌ[2] له في الموتِ».

١٣ ـ مَوْعظةٌ لعُمر بنِ عبدِ العزيز

تاريخ الرسل والملوك٦: ٥٧٠
وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص: ٤١
والبيان والتبيين٢: ٩٨
وعيون الأخبار٢: ٢٤٦
والعقد٤: ٩٥
والأغاني٩: ٢٦٧
وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص:٢٢٢
وشرح نهج البلاغة٥: ١٥٠

خطبَ عمُر بنُ عبدِ العزيز الناسَ بخُناصرة من عَمَلِ حَلَبَ خطبةً لم يخطبْ بعدَها حتى مات ، فحمد الله وأثنى عَليه، ثمَّ قالَ:

---

(١) السَّرائِرُ: جَمْعُ سَريرةٍ، وهي ما تَكْتمُهُ وتُخفِيه، أو الشيء الذي تَعْمَلُهُ في الخَفَاء.

(٢) قال ابنُ منظور: في حديث عمر بن عبد العزيز: «إنَّ امرءاً ليس بينهُ وبينَ آدمَ أبٌ حَيٌّ لَمُعْرقٌ لـه في المَوْتِ»، أي إنَّ له فيه عِرْقاً. أي: أصْلاً، وإنه أصيلٌ في الموت. (اللسان: عرق).

«أيُّها النَّاس، إنَّكم لم تُخلقوا عَبثاً، ولن تُتْرَكُوا سُدى[١]، وإن لكم معاداً[٢] يَنْزِلُ ا لله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم. وقد خاب وخسر مَنْ خرج من رحمة ا لله التي وسِعت كلّ شيء، وحُرِم الجنة التي عرضُها السَّمواتُ والأرضُ. ألا واعلُموا إنما الأمان غداً لمن حذِر ا لله وخافه، وباع نافداً [٣] بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان. ألا ترَوْن أنكم في أسلاب[٤] الهالكين، وسيُخَلِّفها بعدكم الباقون كذلك حتى تردّ إلى خير الوارثين! وفي كلّ يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى ا لله قد قضى نحبهُ[٥]، وانقضى أجله، فتُغيِّبونه في صَدْع[٦] من الأرض، ثم تدَعونه غير موسَّد ولا ممهَّد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسلاب[٧] ، فسكن التراب، وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، فقير إلى ماقدَّم، غنيٌّ عما ترك. فاتقوا ا لله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه. وأيم ا لله إني لأقولُ لكم هذه المقالة، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثر مما عندي. فأستغفرُ ا لله وأتوبُ إليه.وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجةٌ إلا أحببتُ أن أسدَّ من حاجته ما قدَرتُ عليه. وما منكم أحدٌ يسعه ماعندنا إلا وددت أنه سَدَاي[٨] ولحمتي[٩] ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء. وايم ا لله أن لو أردت غير هذا من الغَضارة[١٠] والعيش، لكان اللسانُ مني به ذَلولاً [١١] عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من ا لله كتابٌ ناطق وسنةٌ عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى عن معصيته».

---

(١) السُّدَى: المُهْمَلُ.

(٢) المعاد: المصير والمرجع والآخرة.

(٣) النافد: الفاني.

(٤) الأسلاب: جمع سَلَب، وهو ما يأخذه أحد القِرْنَيْنِ في الحرب من قِرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة.

(٥) النحب: الأجل.

(٦) الصدع: الشق.

(٧) الأسلاب: جمع سَلَب، وهو ههنا كل شيءٍ على الإنسان من اللباس.

(٨) السَّدى: أسفل الثوب ومامُدَّ من خيوطه، والمراد الأصل.

(٩) اللحمة: أعلى الثوب والمراد القرابة.

(١٠) الغضارة: النعمة والسَّعة.

(١١) لسان ذَلُولٌ: طَلْقٌ ذَلْقٌ، على المَثَلِ بالدابة الذلول، وهي السَّهْلَةُ المُنقادَةُ.

١٤ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاج بن يوسفَ الثَّقَفيِّ

العقد ٤:١١٨
وأنساب الأشراف ١٣:٤٠٣

خطَبَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ بالبصرةِ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قالَ:

«إنَّ الله كفانا مَؤُونة الدنيا، وأمرنا بطَلب الآخرة. فليت الله كفانا مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا. مالي أرى عُلماءكم يُدْهنون[١]، وجُهّالكم لا يتعلمون، وشِرَارَكم لا يَتُوبون! مالي أراكم تَحْرِصون على ماكُفِيتم، وتُضيِّعون مابه أُمِرْتم! إنَّ العِلْمَ يُوشك أن يُرفع، ورَفْعه ذهابُ العلماء. ألاَ وإنّي أَعلم بشراركم من البَيْطار[٢] بالفَرس: الذين لا يَقْرؤون القرآن إلا هَجْراً[٣]، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْراً[٤]. ألا وإنَّ الدُّنيا عَرَض حاضر، يأكل منها البَرّ والفاجر. ألا وإنَّ الآخرةَ أجَلٌ مُستأخر، يَحكم فيه مَلِك قادر. ألا فاعملوا وأنتم من الله على حَذَر، واعلموا أنّكم مُلاقوه، ليَجْزي الذين أساؤوا بما عَمِلوا، ويَجزي الذين أَحسنوا بالحُسنى. ألا وإنَّ الخيرَ كلَّه بحذافيره[٥] في الجَنَّة. ألاَ وإنَّ الشَّرَّ كلَّه بحذافيرِه في النار. ألا وإن مَن يَعمل مِثقال ذَرّة خيراً يَرَه، ومَن يَعملْ مِثْقال ذَرّة شراً يَرَه، وأستغفر الله لي ولكم».

١٥ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بن يوسفَ الثَّقَفيِّ

الكامل للمبرد ١:١٦٠
والبيان والتبيين ١:٢٩٧
وعيون الأخبار ٢:٢٤٧
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤:٦٣
واللسان :قدع
وسرح العيون ص:١٨٤

كانَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ يقولُ على المِنْبَرِ:

---

(١) يُدْهِنُونَ: يُصانعون ويُلاينون ويُنافقون.

(٢) البَيْطار: معالج الدَّواب.

(٣) لايَقرؤون القرآن إلاَّ هَجْراً: أي تركاً له وإعراضاً عنه، أي أنهم لايقرؤونه ولا يتلونه.

(٤) ولا يأتون الصلاة إلاَّ دَبْراً: أي لايُصَلُّون الصلاة إلاَّ في آخرِ وَقْتها.

(٥) الحَذافير: جمع حُذْفُور وحِذْفار، وهو أعلى الشيء وناحيته وجانبه، والمراد بِجَمِيعِهِ وأسْرِهِ.

«أيُّها الناس، اقْدَعُوا[١] هذه الأنْفُسَ؛ فإنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ، وأَمْنَعُ شيء إذا سُئِلَتْ. فَرَحِمَ ا لله امرأً جَعَلَ لنفسه خِطاماً وزِماماً، فقادها بخِطامها إلى طاعة ا لله، وعَطفَهَا بزِمامها عن معصية ا لله، فإني رأيت الصَّبْرَ عن مَحَارم ا لله أيسَرَ من الصَّبر على عذابه».

١٦ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يوُسُفَ الثَّقَفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٣٨٧

خَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ، فقالَ:

«إنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ صَبَرَ على مَكْرُوه الطَّاعَة، فذلك الذي يَسْتَوْجبُ الثَّوابَ، ويُكَافَأ بالإحسانِ. فأمَّا مَنْ جَرَى مع الطَّاعةِ ما جَرَتْ مع هَوَاهُ[٢] فليس بمُسْتَوْجبٍ خيراً، ولا مَعْدُوداً مُطيعاً».

١٧ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يوُسُفَ الثَّقَفيِّ

البيان والتبيين ٢:١٤٠
وعيون الأخبار ٢:٢٥١
والعقد ٤:١١٧

خَطبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ على المِنْبَر يَوْمَ جُمُعَةٍ، فقالَ:

«امرؤٌ زَوَّرَ[٣] عَمَلَهُ، امرؤٌ حَاسَبَ نَفْسَهُ، امرؤٌ فكَّرَ فيما يقرؤُهُ في صَحِيفَتِهِ، ويَراهُ في مِيزَانِه، امرؤٌ كان عندَ قَلْبِهِ زاجراً[٤]، وعندَ هَمِّهِ ذاكراً[٥]، امرؤٌ أخَذَ بعنانِ[٦] قَلْبِهِ كما يأخُذُ الرَّجُلُ بخُطام[٧] جَمَلِهِ، فإنْ قَادَهُ إلى طاعة ا للهِ قَبِلَهُ وتَبِعَهُ، وإنْ قَادَهُ إلى مَعْصيةِ ا لله كَفَّهُ».

---

(١) قال ابن منظور: في حديث الحجاج: «اقدَعُوا هذه الأنفسَ، فإنَّها أسألُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ، وأمنعُ شيءٍ إذا سُئِلَتْ». أي كُفُّوها عما تتطلع إليه من الشهوات. (اللسان: قَدَع).

(٢) الهَوَى: الإرادةُ والرَّغْبَةُ والشَّهْوَةُ.

(٣) قال ابن منظور: قال الحجَّاج: «رحم ا لله امرأ زوَّر نَفْسَه على نَفْسِهِ» ، أي قَوَّمَها وحَسَّنها، وقيل: اتهم نفسَهُ على نفسِه،وحقيقةُ نسْبتها إلى الزُّور كَفسَقَهُ وجَهَّلَه.

وقال: في الخبر عن الحجَّاج: «زَوَّرَ رَجُلٌ نَفْسَهُ»، أي: وَسَمَها بالزُّور، وهو الكذبُ والباطلُ والتُّهمة. (اللسان: زور).

(٤) الزاجر: الناهي.

(٥) الذاكر: من الذكر، وهو الصَّلاة للهِ والدُّعاء إليه والثَّناءُ عليه.

(٦) العنان: السَّيرُ الذي يوضع في لجَام الدابة فتمسك به. واللجام: حبلٌ أو عصاً تُدْخَلُ في فم الدابة وتُلْزقُ إلى قفاه.

(٧) الخطام: حَبْلٌ من ليفٍ أو شَعَر أو كَتَّان يُجْعَلُ في أحدِ طَرَفَيْهِ حَلْقَةٌ، ثم يُشَدُّ فيه الطَّرفُ الآخرُ حتى يصيرَ كالحَلَقة، ثم يُقَلَّدُ البعيرَ، أي يُعلَّقُ على حَلْقِهِ، ثم يُثْنَى على مِخْطَمِهِ، أي أنْفِهِ، ولا يُثْقَبُ له الأنفُ.

obeikandl.com

١٨ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٣٩٨
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤:٦٣

كانَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُف يَقُولُ في خُطْبَته:

«رَحِمَ ا لله امرأً اتَّهم نفسَهُ على نَفْسِه، رَحِمَ ا لله امرأً اتَّخذَ نفسَهُ عدواً، فَحَذَّرها في قَولهِ وفِعْلِهِ، رَحِمَ ا للهُ امرأً أخذَ بِعنانِ[١] عَملِهِ فَعَلِمَ مايُرادُ به، رحمَ ا لله امرأً حَاسَبَ نفسَهُ قبلَ أنْ يكونَ حِسَابهُ إلى غَيْرِهِ، رحَم ا لله امرأً نظر إلى مِيزَانِه[٢]، فأشْفَقَ[٣] مِن خِفَّتِهِ[٤]، رحَم ا لله امرأً عَلِم أنَّ الشَّقاء[٥] والرَّخاءَ[٦] فيما بينَ يَدْيهِ».

١٩ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٤٢١

خَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ، فقال:

«رَحِمَ ا لله امرأً عَمِلَ بعلمِهِ، رحِمَ ا لله امرأً حاسبَ نفسهُ قبلَ أنْ يكونَ الحسابُ من غيرِهِ، رحِمَ ا لله امرأً فَكَّرَ فيما يَقْرأُ في كتابِهِ، ويراهُ في ميزانهِ[٧] ، رحِمَ ا لله امرأً كان له من نفسهِ مُذَكِّرٌ[٨] لِمَعادِه،[٩] وزاجرٌ عن معصيةِ رَبِّهِ، رحمَ ا لله امرأً أخذَ بِعِنانِ عَمَلِهِ، فإن قادَهُ إلى طاعةِ ا للهِ اتَّبعَهُ، و إنْ قادَه إلى مَعْصِيتهِ كَفَّه».

---

(١) العنان: السَّيْرُ الذي يوضع في لجامِ الدَّابةِ فَتُمْسَكُ به. واللجام: حبلٌ أو عصاً تُدْخَلُ في فم الدابة وتُلْزقُ إلى قفاه.
(٢) الميزان: الحَسَنَاتُ أو الصَّحائف التي تُثْبَتُ فيها الأعمال.
(٣) أشفق من الأمر: خافَ منه وجَزِعَ.
(٤) الخفة ههنا: قِلَّةُ الحَسَنات.
(٥) الشقاء: الشِّدةُ والعُسْرَةُ.
(٦) الرَّخاء: سَعَة العَيْش.
(٧) الميزان: الحَسَنَاتُ أو الصَّحائف التي تُثْبَتُ فيها الأعمال.
(٨) المُذكِّر: المُنَبِّهُ المانعُ من النِّسيان.
(٩) المَعَادُ: المَصيرُ والمرجعُ والآخرة.

obeikandl.com

٢٠ ـ خُطْبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٤٢٠
والبيان والتبيين ٢:١١٣
والعقد ٤:١١٣

خَطَبَ الحجَّاج بنُ يُوسُفَ يوماً، فقالَ:

«اللَّهم أَرِني الهُدَى[١] هُـدىً فَأَتَّبعَهُ، وأرنـي الغَـيَّ[٢] غيـاً فأجْتَنِبـهُ، ولا تَكِلْـني[٣] إلى نَفْسي، فأضِلَّ ضَلالاً بعيداً».

٢١ ـ خُطبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٤١٨، ٤٢١
والبيان والتبيين ١:٢٩٦، ٢:١١٣
والعقد ٤:١١٣
وسرح العيون ص:١٨٤

خطبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ فَذَمَّ الدنيا، وصَغَّرها، فقال:

«وا للهِ ما أُحِبُّ أنَّ ما مَضَى من الدُّنيا لي بِعَمامتي هذه، ولَمَا بقيَ منها أشْبَهُ بما مَضَى من الماءِ بالماءِ[٤]».

٢٢ ـ خُطْبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٤١٩

«خَطَـبَ الحجَّـاجُ، فقـال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤]. **وكان لايَدَع ذلك حتى مات».**

---

(١) الهدى: الرَّشاد.

(٢) الغَيُّ: الضَّلال.

(٣) وكَلَهُ إلى نَفْسِه: صَرَفَ إليها أمْرَهُ، وكَلَّفَها القيامَ به، فاعتمد فيه على رأيها. ومنه حديث الدعاء: «لاتَكِلني إلى نفسي طَرْفَةَ عين فأهلِكَ». أي لا تَتْركني. (اللسان: وكل).

(٤) في المثل: «أشْبَهُ من الماء بالماء». قالوا: إنَّ أوَّلَ مَنْ قال ذلك أعرابيٌّ، وذكَرَ رجلاً فقال: وا لله لولا شوارِبُهُ المُحيطةُ بفمهِ ما دَعَتْهُ أنَّهُ باسِمِه، ولهو أشبهُ بالنِّساءِ من الماء بالماء. فذهبت مثلاً. (مجمع الأمثال ٢:٢٠٧).

٢٣ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٣٨٢
ومروج الذهب ٣:١٥٩
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤:٦٣

«قالَ الشَّعْبيُّ: صَعِدَ الحجَّاجُ المِنْبَرَ، فتكلَّمَ بكلامٍ لم أسْمَعْ مثلَهُ قبلَهُ ولا بَعدَهُ، قال:

أيُّها الناسُ، إن الله كتبَ على الدُّنيا الفناءَ،ولا بقاءَ لما كُتِبَ عليه الفَناءُ، وكتبَ على الآخرة البَقاءَ، فلا فَناءَ لما كُتِبَ عليه البقاءُ. فلا يَغُرَّنكُمْ[١] حاضرٌ[٢] الدنيا عن غائبِ الآخرةِ[٣]، واقْهَرُوا[٤]طولَ الأملِ[٥] بِقِصَرِ الأَجلِ[٦]»!

٢٤ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٣٥٥
والبيان والتبيين٣:١٠٩

كان الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ يقولُ في خُطْبَتِهِ:

«أيُّها النَّاسُ، إنكم لم تُخلَقُوا للفَناءِ، إنما خُلِقْتُمْ للبَقاءِ غيرَ أنكم تُنْقَلُونَ من دارٍ إلى دارٍ. فرحِمَ اللهُ عبداً أخذَ بِعنانِ عَمَلِهِ، فإن كان لله مَضَى[٧] قُدُماً[٨]، وإنْ كان لغيرِهِ أمْسَكَ[٩] مُحْجِماً[١٠]».

---

(١) غَرَّهُ: خدَعَهُ.
(٢) حاضر الدنيا: عَرَضَها وحُطَامُها ومَتَاعُها الزَّائل الفاني.
(٣) غائب الآخرة: نعيمها الدائم الباقي.
(٤) قَهَرَهُ: غَلَبَهُ وانتصر عليه.
(٥) الأمل: الرَّجاء.
(٦) الأجل: غاية الوقت في الموت. والأجل: مُدَّة الشيء.
(٧) مَضَى: استَمَرَّ ولم يَثْنِ.
(٨) القُدُم: المُضيُّ أمامَ.
(٩) أمْسَكَ: كَفَّ.
(١٠) المُحْجِمُ: المُتَحَوِّفُ المُتَهَيِّب.

٢٥ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤:٦٣
واللسان:دول

كان الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ يقولُ في خُطْبَتِهِ:

«إنَّ ا للهَ خَلَقَ آدمَ وذُرِّيَّتهُ من الأرضِ، فأمشاهم على ظَهْرِها فأكلُوا ثمارَها، وشَرِبُوا أنهارها، وَهيَّؤوا لها المساحيَ[١] والمرورَ[٢] . ثم أدالَ[٣] للأرضِ منهم، فَرَدَّهم إليها، فأكلتْ لحومَهم كما أكلوا ثمارَها، وشربتْ دِماءهم كما شَرِبُوا أنهارَها، وقَطَّعتهم في جَوْفِها، ومَزَّقَتْ أوصالَهم[٤] كما مَزَّقوها بِمَساحيهم ومُرورِهم».

٢٦ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤:٦٣

كان الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ يَقُولُ في خطبته:

«ألا أيُّها الرَّجُل، وكُلُّكُمْ ذلك الرَّجُلُ! رَجُلٌ خَطَمَ[٥] نَفْسَهُ وزَمَّهَا[٦] ، فَقَادَها بِخطامِها إلى طاعةِ ا للهِ، وكَبَحها[٧] بِزِمامها عن مَعْصِيَةِ ا للهِ».

---

(١) المساحي: جمع مِسْحاةٍ، وهي المِجْرَفَةُ من الحديد.

(٢) المُرُور: جمع مَرٍّ، وهو المِحْرَاثُ.

(٣) أدَالَ للأرض منهم: جَعَلَ لها الغلبةَ عليهم.قال ابن منظور: قال الحجاج: «يُوشِكُ أنْ تُدالَ الأرضُ منا كما أُدِلنا منها»، أي يُجْعَلُ لها الكَرَّةُ والدولة علينا، فتأكلَ لُحُومَنَا كما أكَلْنا ثِمارَها، وتَشْرَبُ دماءنا كما شَرِبْنَا مِياهَها». (اللسان: دول، وانظر أساس البلاغة: دول).

(٤) الأوصال: جمع وِصْلٍ، وهو المَفْصِل.

(٥) خَطَمَ نَفْسَهُ: جعل لها خطاماً، وهو حَبْلٌ من ليفٍ أو شَعَرٍ أو كتان يُجْعَلُ في أحد طرفيه حلقةٌ، ثم يُشَدُّ فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يُقَلِّدُ البعيرَ، أي يُعلِّقُ على حَلْقِهِ، ثم يُثَنَّى على مِخْطَمِهِ، أي أنْفِهِ، ولا يُثْقَبُ له الأنفُ.

(٦) زَمَّها: جعل لها زماماً، وهو حبلٌ يُشَدُّ في البُرَة، أي الحلقةُ التي توضع في أنف البعير، ثم يُشَدُّ في طرفه المِقْوَد.

(٧) كَبَحَ نفسه: رَدَّها عن حاجتها وشهوتها وهواها، على المثل بكبح الدابة، وهو أن يَجْذِبها الراكبُ إليه باللجام، ويَضْرِبَ فاها به كي تَقِفَ ولا تَجْري.

٢٧ ـ خُطبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٣:٤
والبيان والتبيين ١٥٦:٢
وأنساب الأشراف ٤٢٠:١٣
والكامل للمبرد ١٦١:١
وسرح العيون ص: ١٨٣

قالَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ يوماً وهو على المِنْبَرِ:

«امْرؤٌ غَفِلَ عن ا للهِ تعالى، امرؤٌ أفاقَ واسْتَفَاقَ[١]، فأبْغَضَ[٢] المَعَاصيَ والنِّفَاقَ[٣]، وكانَ إلى ما عِنْدَ ا للهِ بالأشواقِ، امْرؤٌ ذهبتْ ساعةٌ من عُمْرِهِ لغيرِما خُلِقَ له لَحَرِيٌّ أنْ تَطُولَ عليها حَسْرَتُهُ[٤] إلى يومِ القيامةِ».

٢٨ ـ خُطبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ٣٥٧:١٣

خَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ، فقال:

«لَئِنْ أُطِيلَتْ[٥] لكم النَّظرةُ[٦]، ومُدَّ لكم في المُهْلَةِ، ولم تُحْدِثُوا قَبْلَ المَوْتِ تَوْبَةً[٧]، فيالَها حَسْرةً[٨]»!!

---

(١) أفاقَ العَليلُ إفاقةً واسْتَفَاقَ: نَقِهَ، وكذلك السكران إذا صحا، والمَغْشيُّ عليه إذا انْجَلَتْ عنه الغَشْيَةُ، أي الإغماء.

(٢) أبْغَضَ الشيءَ: كَرِهَهُ ومَقَتَهُ.

(٣) النِّفاقُ: الرِّياء، وهو أنْ يُظْهِرَ الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ.

(٤) الحسرة: أشَدُّ النَّدم.

(٥) أطَالَ الشيءَ: مَدَّهُ وزَادَهُ.

(٦) النَّظرةُ: المُهْلَةُ، يقال: أنْظَرَهُ، أي أخَّرَهُ وأمْهَلَهُ وأجَّلَهُ.

(٧) التَّوبة: الرُّجوع عن الذَّنب، يقال: تابَ، أي أنابَ ورجع عن المَعْصيةِ إلى الطَّاعة.

(٨) الحَسْرَةُ: أشَدُّ النَّدَمِ.

٢٩ ـ خُطبةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ

أنساب الأشراف ١٣:٣٨١

خَطَبَ الحجَّاجُ، فقالَ:

«يُدْعَى حيَّ[١] على الصلاةِ فلا يُجيبونَ، أما وا للهِ لو دُعِيَ حيٌّ على أربعةِ دراهمَ لَغَصَّ[٢] المسجدُ بأهْلِهِ»!

٣٠ ـ مَوْعِظةٌ لِعَدِيِّ بنِ أرْطَاةَ الفَزاريِّ

تاريخ بغداد ١٢:٣٠٦
وتهذيب الكمال ١٩:٥٢١

خَطَبَ عديُّ بنُ أرْطَاةَ الفَزاريُّ على مِنْبَرِ المدائنِ، فجعلَ يَعِظُ الناس حتى بكَى وأبكاهم، ثم قال:

«كُونُوا كَرَجُلٍ قالَ لابنِهِ وهو يَعِظُهُ: بُنَيَّ، أوُصيكَ أنْ لاتُصَلِّيَ صَلاةً إلاَّ ظَنَنْتَ أنَّكَ لاتُصَلِّي بَعْدَهَا غَيْرَها حتَّى تموتَ، وتَعالَ بنيَّ حتَّى نَعْمَلَ عَمَلَ رَجُلَيْنِ كأنَّهما قد أوقِفا على النَّار، ثمَّ سألاَ الكَرَّةَ[٣]».

٣١ ـ خُطْبَةٌ لِخَالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ

عيون الأخبار ٢:٢٤٦

خطب خالدُ بنُ عبدِ اللهِ يومَ عيدٍ، فذكرَ اللهَ وجَلاَلَهُ، ثم قال:

«كنتَ كذلك ماشئتَ أن تكون، لايَعلم كيف أنت إلا أنت، ثم ارتأيتَ أن تخلُقَ الخَلْق، فماذا جئتَ به من عجائب صُنْعك، والكبير والصغير من خلقك، والظاهر والباطن من ذَرّك: من صُنوف أفواجه[٤] وأفراده وأزواجه، كيف أدمجتَ[٥] قوائم الذَّرَّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التي امتزجتْ بالأرواح».

(١) حيَّ على الصلاةِ: هَلُمَّ وأقْبِلْ، وفُتِحَتِ الياء لسُكونها وسُكون ما قَبْلَها.
(٢) غَصَّ المكانُ بأهله: ضاقَ. والمنزلُ غَاصٌّ بالقَوْم: مُمْتَلِئٌ بهم.
(٣) الكَرَّةُ: البَعْثُ وتجديدُ الخَلْق بعدَ الفَناء.
(٤) الأفواج: جمع فوج، وهو الجماعة.
(٥) أدمج قوائم الذَّرة: أحكم خلقها، وأحسن صنعها.

٣٢ ـ خُطْبَةٌ لِخَالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ

عيون الأخبار ٢:٢٤٧
والعقد ٤:١٤٩

خطب خالدُ بنُ عبدِ اللهِ يومًا، فَسَقَطَتْ جَرادَةٌ على ثَوْبِهِ، فقال:

«سبحانَ مَن الجرادةُ من خلقه، أدمَجَ قوائمها،(١) وطوَّقها جَناحها(٢)، ووَشَّى جلدَها(٣)، وسَلَّطها على ماهو أعظمُ منها»!

٣٣ـ خطبةٌ ليوسفَ بنِ عمرَ الثقفيِّ

عيون الأخبار ٢: ٢٥١
والبيان والتبيين ٢: ١١٦
والعقد: ٤: ١٣٤
ونهاية الأرب ٧: ٢٥٥

خطبَ يوسفُ بنُ عمرَ، فقال:

«اِتقوا اللهَ عبادَ الله! فكم من مُؤَمِّلٍ أملاً لا يبلُغه، وجامعٍ مالاً لا يأكله، ومانعٍ ما سوف يَترُكه. ولعله من باطلٍ جَمَعَه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حراماً، ووَرَّثَه عدوّاً، اِحتمل إصْرَه(٤) وبَاءَ بوِزْره(٥)، ووَرِدَ على ربّه آسفاً لاهِفاً، قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

---

(١) أدْمَجَ قوائمها: أحْكم خلقها وأحسن صُنْعَها.
(٢) طَوَّقَها جناحَها: جَعَلَهُ لها كالطَّوق.
(٣) وشَّى جِلْدَها: نَمْنَمهُ ونَقَشَهُ وزَخْرَفَهُ بِنقاطٍ سُودٍ وبيضٍ.
(٤) الإصْرُ: الإثم والعقوبة.
(٥) الوِزْرُ: الذنب.

openkan.com

(٢) مَوَاعِظُ للخَوارجِ والقَدريَّةِ

١ ـ مَوْعِظةٌ لِقَطريِّ بنِ الفُجاءةِ التَّميميِّ

البيان والتبيين ٢:١٠٤
وعيون الأخبار ٢:٢٥٠
وأنساب الأشراف ٧:٤٣٢
والعقد ٤:١٤١
وشرح مقامات الحريري ١:٢٣٢
وشرح نهج البلاغة ٧:٢٢٦
ونهاية الأرب ٤:٢٥٠
وصبح الأعشى ١:٢٢٢

صَعِدَ قطريُّ بنُ الفُجاءةِ مِنبَرَ الأزارقةِ، فحمدَ الله وأثْنى عليه، ثمَّ قال:

«أمّا بعد، فإني أحذّركم الدنيا، فإنها حُلوة خضرة،[١] حُفَّتْ بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وحُلّيت بالآمال، وتَزينت بالغرور، لاتَدُومُ حَبْرَتها[٢]، ولا تؤمن فَجعتُها. غرّارة ضَرارة خوّانة غدّارة، وحائلة زائلة ونافِدَة بائدة، أكّالة غوّالة بذّالة نقّالة، لاتعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[الكهف: ٤٥]. مع أن امرأً لم يكن منها في حَبرة إلا أعقبته بعدها عَبرة[٣]، ولم يلْق من سَرّائها بطناً إلا منحته من ضَرّائها ظهراً، ولَم تَطُلْهُ غَيْثَةُ رَخاء[٤] إلا أهطلت عليه مُزنةَ بلاء[٥]. وحَريٌّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلةً مُتنكرة، وإن جانبٌ منها أعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أمرَّ عليه جانبٌ وأوبى[٦]، وإن آتت امرأً من غضارتها[٧] ورفاهتها نِعَماً أرهقته من

(١) حضرة: ناعمةٌ غضّةٌ طريّةٌ طيّبةٌ.
(٢) الحَبْرَة: السُّرور والنِّعمة التّامة.
(٣) العَبْرة: الدَّمعة والحُزْن.
(٤) الرَّخاء: سَعة العيش.
(٥) البلاء: الاختبار والامتحان يكون بالخير والشَّر، والمراد الشدَّة والمُصيبة.
(٦) أمَرَّ وأوْبَى: صار مُرّاً وَبيئاً.
(٧) الغضارة: النِّعْمة والخير، والخِصْبُ والبَهْجة، والطِّيب واللَّذّة.

نوائبها[١] نِقَماً[٢]. ولم يُمْسِ امرؤٌ منها في جَناح أمنٍ إلا أصبح منها على قَوادم خَوْفٍ. غَرورٌ ما فيها، فانٍ ما عليها، لاخير في شيءٍ من زادها إلا التقوى. مَن أقل منها استكثر مما يُؤمِّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبِقُهُ[٣]، ويطيل حزنه، ويبكي عينيه. كم واثقٍ بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صَرعته، وذي احتيال فيها قد خدعته، وكم من ذي أُبَّهة[٤] بها قد صيرته حقيراً، وذي نخوة قد ردته ذليلاً. وكم من ذي تاج قد كَبَّتهُ[٥] لليدَينِ وللفم. سلطانها دول، وعيشها رَنْق[٦]، وعذبُها أجاج[٧]وحلوها صَبِرٌ[٨]، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رِمَام[٩]، وقطافها سَلَعٌ[١٠]. حَيُّهَا بعَرَض موتٍ، وصحيحُها بعَرضِ سُقْم، ومنيعها بعرَض اهتضام. مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وسليمها منكوب، وجامعها محروب. مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١]. ألستم في مساكن مَنْ كان أطول منكم أعماراً، وأوضح منكم آثاراً، وأعدَّ عديداً، وأكثف جنوداً، وأعند عنوداً! تَعَبَّدُوا للدنيا أيَّ تعبد، وآثروها أيَّ إيثار، وظعنوا عنها بالكُرهِ والصَّغار! فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بِفِدْيةٍ! أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب! بل قد أرهقتهم بالفوادح[١١] وضَعضعتهم بالنوائب وعَقرتهم بالمصائب. وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد الى آخر السُمُسْنَدٌ[١٢]. هل زوَّدتهم إلا الشقاء، وأحلتهم إلا

---

(١) النّوائب : جمع نائبة، وهي المصيبة.

(٢) النِّقم: جمع نقمةٍ، وهي العقوبة.

(٣) يُوبقُهُ: يُهْلكه.

(٤) الأُبَّـهةِ: الكِبْرُ والعَظمةُ.

(٥) كَبَّتَه: قَلَبَتْهُ وصَرَعَتْهُ.

(٦) الرَّنق: الكَدَر.

(٧) أجاجٌ: مِلْحٌ.

(٨) الصَّبِرُ: عُصارةُ، شَجَرٍ مُرٌّ.

(٩) رِمام: جمع رِمَّة، وهي قِطْعَةٌ من الحَبْلِ باليةٌ.

(١٠) السَّلع: شجرٌ مُرٌّ.

(١١) الفوادح: جمع فادحة، وهي النّازلةُ التي تُثقِلُ صَاحِبَها.

(١٢) المسند: الدهر.

الضنك، أو نورت لهم إلا الظلمة، أو أعقبتهم إلا الندامة! أفهذه تُؤثرون أم على هذه تَحْرِصون أم إليها تَطمئنون؟! يقول الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥]. فبئست الدار لمن أقام فيها! فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد، فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو، وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. وذكر الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت: ١٥]، ثم قال: حُملوا إلى قبورهم فلا يُدْعون رُكباناً، وأُنزلوا فلا يُدْعون ضِيفاناً. وجُعل لهم من الضريح[١] أجنان،[٢] ومن التراب أكفان، ومن الرُّفاتِ[٣] جيران، فهم جيرة لايُجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً. إن أخصبوا لم يَفرحوا، وإن أقحطوا لم يَقنطوا، جَمعٌ وهم آحاد، وجيرةٌ وهم أبعاد، مُتناؤون لا يَزورون ولا يُزارون، حلماءُ قد ذهبت أضغانهم[٤]، وجُهلاءُ قد ماتت أحقادُهم، لا يُخشى فَجعُهم، ولا يُرجَى دَفعهم، وكما قال الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]. استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسَّعة ضيقاً، وبالأهل غُربة، وبالنور ظُلمة، فجاؤوها كما فارقوها حُفاةً عُراةً فُرادَى، غير أنهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد، يقول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فاحذروا ما حذَّركم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله. عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداءَ حقه»[٥].

---

(١) الضَّريح: الشَّق في الأرض.

(٢) الأجنان: جمع جَنٍ، وهو القبر.

(٣) الرُّفات: دقاق العظام وحُطامها.

(٤) الأضغان: جمع ضِغْن، وهو الحقد.

(٥) تُنْسَبُ هذه الموعظة إلى علي بن أبي طالب. (شرح نهج البلاغة ٧: ٢٣٦). ولكن أقدم الروايات وأكثرها تَنسِبُها إلى قطري. (أدب الخوارج ص: ٦١، ودراسات أدبية ص: ٣٤).

٢ ـ مَوْعِظةٌ لأبي حَمزةَ المختارِ بنِ عَوْفٍ الأزديِّ

العقد ٤:١٤٧
والبيان والتبين ٢:٩٩

خطبَ أبو حَمْزَة الشَّاري أصحابَهُ وَوَعَظهم، فقال:

«أما بعدُ، فإنَّك في ناشئ فِتنة، وقائمِ ضلالةٍ، قد طال جثُومها[١]، واشتدت عليك هُمومها، وتلوَّت[٢] مصايد عدوّ ا لله فيها ، وما نَصَبَ من الشَّرَكِ[٣] لأهلِ الغفلة عما في عواقبها. فلن يَهُدَّ عمودَها[٤]، ولن يَنزِعَ أوتادَها، إلاَّ الذي بيدهِ مُلْكُ الأشياء، وهو الرّحمن الرحيم. ألا وإنَّ لله بقايا من عباده لم يتحَيّروا[٥] في ظُلَمها، ولم يُشايعُوا[٦] أهلها على شُبهها[٧]. مصابيحُ النّور في أفواهِهم تَرْهُو، وألسنتهم بحُجَج الكتاب تَنْطقُ، رَكِبوا مَنهج[٨] السبيل، وقامُوا على العَلَمِ[٩] الأعظم. هم خُصماء الشيطانِ الرَّجيم، بهم يُصْلح ا لله البلادَ، ويَدْفعُ عن العباد. طُوبى لهم[١٠] وللمُسْتصبحين بنورهم، وأسأل ا لله أن يجعلنا منهم».

٣ ـ مَوْعظةٌ لِغَيْلانَ الدِّمَشْقيِّ

عيون الأخبار ٢:٣٤٥

قال غَيْلانُ الدِّمَشْقيُّ يَعِظُ أصحابَهُ:

«إن التراجعَ في المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها ويأتي يومُ الصاخّة[١١]، كلُّ الخلقِ يومئذ مُصِيخٌ[١٢] يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضَى عليه، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه: ١٠٨].

---

(١) جثم جثوماً: لزم مكانه فلم يَبْرَحَ، أي تَلَبَّدَ بالأرض ولَصَقَ بها.
(٢) تَلَوَّت: انْطَوَتْ وانْعَطَفَتْ والتَوتْ وتَثَنَّت.
(٣) الشَّرَكُ: جمع شَرَكة، وهي حبالة الصائد يَرْتبِكُ فيها الصيد.
(٤) عمود الضَّلالة: أصْلُها وقِوَامُها ونظامها، مأخوذ من عمود البيت، وهو الخشبة التي يقوم عليها.
(٥) تَحيَّر: اضطرب و لم يدر كيف يهتدي لسبيله.
(٦) شايعهُ على الأمر: تابعه ووافقه.
(٧) الشُّبهةُ: جمع شُبهة، وهي الالتباس والاختلاط. وأمورٌ مُشْتَبِهة: أي مشكَلَةٌ يشبهُ بعضُها بعضاً.
(٨) مَنْهَجُ السَّبيل ونَهْجُه: وَضَحُه وظهوره وبيانه.
(٩) العلم: الجَبَلُ والمنارة والأثر يُسْتَدَلُّ به على الطريق.
(١٠) طوبى لهم: العيش الطَّيِّبُ لهم،أو الحُسْنَى لهم، أو الخَير لهم، أو الجنَّةُ لهم.
(١١) الصاخة: القيامة.
(١٢) مصيخ: مُسْتمعٌ مُنْصتٌ.

فاصمُت اليوم عما يُصْمتكَ يومئذ، وتَعَلَّمْ ذلك حتى تعلَمَه، وابتغِه حتى تَجدَه، وبادِرْ قبل أن تفجأَكَ دعوةُ الموت، فإنها عَنيفةٌ إلا بمَنْ رحم الله، فيُقْحِمكَ[١] في دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثّبور، ثم لايُقالُون[٢] ولا يُستعتَبونَ[٣]. إني رأيتُ قلوب العِباد في الدنيا تخشَعُ لأيسر من هذا وتَقسُو عند هذا. فانظُر إلى نفسك أعبدُ الله أنت أم عَدوُّه، فيارُبَّ مُتعبّدٍ لله بلسانه، مُعادٍ له بفعله ذَلُولٍ في الانسياق إلى عذاب السعير في أُمنيّة أضغاثِ[٤] أحلامٍ يَعْبُرُها[٥] بالأمانِي والظنون. فاعرِف نفسَكَ، وسَلْ عنها الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يَعلم، وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَلَ، فإن الرّب جلّ ثناؤه لايعذِر بالتعذير[٦]والتغرير[٧]، ولكن يعذِرُ بالجِدّ والتشمير[٨]. اِكتس نصيحتي؛ فإنها كُسوَةُ تقوَى، ودليلٌ على مفاتيح الخير، ولا تكن كعلماء زمن الْهَرْج[٩] إن وُعِظُوا أنِفُوا، وإن وَعَظُوا عَنُفُوا. وا لله المستعان».

---

(١) يُقْحِمك: يُلْقي بك.

(٢) لايُقالون: لايُصْفَحُ عنهم.

(٣) لايستعتبون: لايُسْألون أن يرجعوا عما كانوا عليه في الدنيا، ولا يقال لهم: ارضوا ربكم بتوبةٍ وطاعة، أي هم من الإهمال وعدم الالتفات بحيث لايعاتبون على سيئاتهم بل يعاقبون عليها.

(٤) الأضغاث: جمع ضِغْث، وهو الحلم الذي لاتأويل له ولاخَيْرَ فيه.

(٥) يعبرها: يفسِّرها ويُؤَوِّلها.

(٦) التعذير: التقصير.

(٧) التغرير: الخداع.

(٨) التشمير: الجد والاجتهاد.

(٩) الهَرْج: الاختلاط والفتنة.

(٣) مَوَاعِظُ لِزُهَّادِ الشّام وغَيْرِهم

١ ـ مَوْعِظَةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٦

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧:٣٢٢

نَادَى أبو مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيُّ معاويةَ بنَ أبي سفيان، وهو جالسٌ على مِنبَرِ دمشقَ، فقال:

«يا معاويةُ، إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيءٍ كان لك شيءٌ، وإن لم تجئ بشيء فلا شيء لك. يامعاويةُ، لاتحسبنَّ الخلافةَ جَمْعَ المال وَتفرُّقَهُ[١]، ولكن الخلافة العملُ بالحق، والقول بالمَعْدَلةِ، وأخذُ الناس في ذات الله عز وجل. يامعاويةُ، إنا لانبالي بكَدرِ الأنهار ما صفت لنا رأس عيننا، وإنك رأسُ عيننا. يامعاوية، إياك أن تحيفَ[٢]على قبيلة من قبائل العرب فيذهبَ حَيْفُك[٣]بعَدْلك» .

٢ ـ مَوْعِظَةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٥

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧:٣٢٣

دَخَلَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ على معاوية بن أبي سفيان، فقال:

«السلام عليك أيها الأجير! فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم. ثم قال: السلام عليك أيها الأجير! فقال الناس: الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، هو أعلم بما يقول. قال أبو مسلم: إنما مَثَلُكَ مثلُ رجلٍ استأجر أجيراً، فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرِّعية[٤]، ويوفر جُزازها[٥] وألبانها. فإن هو أحسن رِعْيَتها، ووفر جُزازها، حتى تلحق الصغيرة، وتسمن

---

(١) تَفَرَّق الشيءُ تَفَرُّقاً: ذَهَب وتَبَدَّد.

(٢) تحيف: تميل وتجور.

(٣) الحيف: المَيْلُ في الحكم والجَوْرُ والظلم.

(٤) الرِّعْية: الاسم من رَعَى الماشية إذا حاطَها وحَفِظها.

(٥) الجُزاز: مايُجزُّ من صوفِ الماشية، أي يقطع.

العجفاء[١]، أعطاه أجره، وزاده من قبله زيادة. وإن هو لم يحسن رِعْيَتها وأضاعها، حتى تهلك العجفاء، وتعجف[٢] السمينة، ولم يوفر جُزازها وألبانَها، غضب عليه صاحب الأجر، فعاقبه ولم يعطه الأجر».

٣ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٥

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧:٣٢٢

«كان أبو مسلم الخولانيُّ يَطُوفُ يَنْعَى الإسلامَ، فأتَى معاويةَ فَدعاهُ فقال له: ما اسمك؟ قال: معاوية. قال: بل أنت أحْدُوثَةٌ[٣] قَبْرٍ عن قليلٍ: إن عملتَ خيراً جُزيتَ[٤] به، وإنْ عملتَ شراً جُزِيتَ به. يامعاوية، إن عَدَلْتَ على أهل الأرض جميعاً، ثم جُرْتَ على رجلٍ واحدٍ مال جَوْرُك[٥] بعَدْلِك».

٤ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٦

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧:٣٢٢

قال أبو مُسْلِمٍ الخَوْلانيُّ:

«مَثَلُ الإمام كمثلِ عَيْنٍ عظيمةٍ صافيةٍ طيبةٍ، الماءُ يجري منها إلى نهرٍ عظيم، فيخوضُ الناسُ النهرَ فيكدِّرونه، ويعودُ عليهم صَفْوُ العَيْنِ، فإن كانَ الكدَرُ من قِبَلِ العَيْنِ فَسَدَ النَّهرُ. وَمَثَلُ الإمام ومَثَلُ الناسِ كمثلِ فسطاطٍ لا يَسْتَقِلُّ[٦] إلا بعمودٍ، لايقوم العمود إلا بالأوتاد، فكلما نُزِعَ وَتدٌ ازداد العَمُودُ وهناً. لا يَصْلُحُ الناسُ إلا بالإمام، ولا يَصْلُحُ الإمامُ إلاَّ بالنَّاس».

---

(١) العجفاء: المهزولة التي لالحم عليها ولاشحم.

(٢) تعجف: يذهب سِمنُها وتهزل.

(٣) الأحدوثة: الأعجوبة وما يُحَدَّث به.

(٤) الجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً.

(٥) مال جورك بعدلك: ذهب به.

(٦) يَسْتَقِلُّ: يرتفع.

٥ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلانيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٣

قال أبو مُسْلِمٍ الخَوْلانيُّ:

«كان الناسُ ورقاً لاشوكَ فيه، فإنهم اليومَ شوْكٌ لاورقَ فيه، إنْ سَابيتَهُمْ سَأبُوك، وإنْ نَاقَدْتَهم[١] نَاقَدُوكَ، وإنْ تَركتَهُم لم يَتْركُوكَ»!

٦ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلانيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٤

قال أبو مُسْلِمٍ الخَوْلانيُّ:

«أرأيتم نفساً إن أنا أكْرَمْتُها ونَعَّمْتُها وَوَدَّعْتُها[٢]، ذَمَّتني غداً عندَ الله، وإن أنا أسْخَطْتُها وأنْصَبْتُها[٣] وأعْملتُها[٤] رَضِيَتْ عني غداً؟ قالوا: مَنْ تيكم يا أبا مسلم؟ قال: تِيكمُ وا لله نفسي».

٧ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلانيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٣

قال قائلٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلانيِّ حين كَبِرَ وَرَقَّ:

«لو قَصَرْتَ[٥] عن بعضِ ما تَصْنَعُ؟ فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيلَ في الحَلْبةِ، ألستم تقولون لفارسَها: دعها وأرفق بها، حتى إذا رأيتم الغايةَ فلا تستبقون منها شيئاً؟ قالوا: بلى! قال: فإني أبصرتُ الغاية، وإن لكلِّ ساعٍ غايةً، وغايةُ كلِّ ساعٍ الموتُ، فسابق ومسبوق».

---

(١) ناقدتهم: عِبْتَهُم واغْتَبْتَهُم.

(٢) وَدَّعْتُها: رَفَهْتُها.

(٣) أنْصبْتُها: أتْعَبْتُها.

(٤) أعْمَلْتُها: حَثَثْتُها.

(٥) قَصَرَ عن الأمر: تركه وكفَّ عنه وهو لا يقدر عليه. وأقْصَرَ عن الأمر: تركه وكفَّ عنه وهو يقدر عليه. وربَّما جاءَا بمعنىً واحدٍ إلاَّ أنَّ الأغلب عليه الأول.

٨ ـ مَوْعِظةٌ لأبي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنيِّ

حلية الأولياء ٢:١٢٣

«انتهى الزهدُ إلى ثمانيةٍ من التابعين، منهم أبو مسلم الخولانيُّ، وكان لا يُجالسُ أحداً قطُّ، ولا يتكلم في شيءٍ من أمر الدنيا إلا تحوَّل عنه، فدخل ذات يومٍ المسجد فنظر إلى نَفَرٍ قد اجتمعوا، فَرَجا أن يكونوا على ذِكرٍ وَخيْرٍ، فجلس إليهم، فإذا بعضُهم يقول: قَدِمَ غلامي فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: جَهَّزْتُ غلامي، فنظر إليهم فقال:

سبحانَ الله أتدرون مامَثَلي ومَثَلُكم؟ كرجلٍ أصابه مطرٌ غزيرٌ وابلٌ، فالتفت فإذا هو بمِصْرَاعين [١] عظيمين، فقال: لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لاسقفَ له! جلستُ إليكم، وأنا أرجو أن تكونوا على ذكرٍ وخيرٍ، فإذا أنتم أصحاب الدنيا».

٩ ـ مَوْعِظةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٢٣

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣٢٠

كانَ بلالٌ بنُ سَعْدٍ السَّكُونيُّ أحدَ العُلماءِ الزُّهاد في خلافة هشام بنِ عبد الملك. وكان قارئ الشام، وإمامَ الجامع بدمَشقَ، وواعظ أهلِ دمشق[٢]. وكان قاصًّا حَسَنَ القَصَصِ[٣]، وَواعِظاً بَليغَ الوَعْظ، قال الأوزاعي[٤]: «سَمِعْتُ بلالَ بن سَعْدٍ، ولم أسْمَعْ واعظاً أبلغَ منه»، وقال عبد الله بن المبارك[٥]: «كان مَحَلُّ بلالِ بنِ سَعْدٍ بالشامِ ومِصْرَ كمحَلِّ الحسن بن أبي الحسن بالبصرة».

وكان بلالُ بنُ سَعْدٍ يقول:

---

(١) مصراعا الباب: بابان مَنْصُوبان يَنْضَمَّان جميعاً، مَدْخلُهما في الوسط من المِصْراعين.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٨

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٨.

(٤) حلية الأولياء ٥:٢٢٢.

(٥) حلية الأولياء ٥:٢٢٢.

«رب مسرورٍ مَغْبُونٌ[١]، وربَّ مغبُونٍ لايشعر. فويلٌ لمن له الويلُ، ولا يشعرُ، يأكلُ ويشربُ وَيضْحَكُ ويلعبُ، وقد حقَّ عليه في قضاءِ اللهِ أنه من أهلِ النار. فياويلاً لكَ رُوحاً، وياويلاً لكَ جَسَداً، فلتَبْكِ وليَبْكِ عليك البواكي بطولِ الأبد»!

١٠ ـ مَوْعِظَةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٢٣

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣٢٠

قال بلالُ بن سَعْدٍ السَّكونيُّ:

«رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٌ، وربَّ مَغْبُونٍ لا يَشْعُرُ. فَوَيْلٌ لِمَنْ له الوَيْلُ، ولا يَشْعُرُ، يأكلُ ويَشْرَبُ ويَضْحَكُ ويلعبُ، وقد حقَّ عليه في قَضَاءِ اللهِ أنه من أهلِ النار».

١١ ـ مَوْعِظَةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٢٦

قال بلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكونيُّ:

«يأمر الله تعالى ياخراج رجلين من النار، فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه، فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: شرَّ مقيل وأسوأ مصير. فيقول: بما قدمت أيديكما ومانا بظلام للعبيد، فيأمر بهما إلى النار. فأما أحدهما فيمضي بسلاسلهِ وأغلالهِ حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت. فيأمر بردِّهما، فيقول للذي غَدَا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ماحملك على مافعلت وقد اختبرتها؟ فيقول: يارب قد ذقت من وَبالِ[٢]معصيتك مالم أكن أتعرض لسخطك ثانياً. ويقول للذي مَضَى وهو يتلفت ماحملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظني بك يارب. قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حين أخرجتني منها أنك لاتعيدني إليها. قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة».

---

(١) يقال: رجل غَبِينٌ ومَغْبُونٌ في الرأي والعقل والدين، أي: ضعيف.

(٢) الوبال: الفَسَادُ والشِّدَّةُ والشَّرُّ والمَضَرَّةُ. والمراد سوء العاقبة.

١٢ ـ مَوْعِظةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٢٩

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٩

كان بلالُ بنُ سَعْد يقولُ في مَوَاعِظِه:

«ياأهلَ الخلودِ، ياأهلَ البقاءِ، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للخلودِ والأبدِ، ولكنكم تُنْقَلونَ من دارٍ إلى دارٍ، كما نُقِلتم من الأصْلابِ[1] إلى الأرحامِ، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف، ثم إلى الخلود في الجنة أو النار».

١٣ ـ مَوْعِظةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٣٠

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٩

كان بلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكونيُّ يقول في مَواعِظِه:

«عباد الرحمن، إن العبدَ ليقولُ قولَ مؤمنٍ، فلا يدعه الله وقَولهُ حتى ينظر في عمله، فإن كان قوله قول مؤمن، وعمله عمل مؤمن، لم يدعه حتى ينظر في وَرَعِهِ، فإن كان قوله قول مؤمن، وعمله عمل مؤمن، وورعه ورع مؤمن، لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلحت النية فبالحرى[2] أن يصلح مادونه. المؤمن يقول قولاً يتبع قوله عملُه، والمنافق يقول بما يعرف ويعمل بما ينكر».

١٤ ـ مَوْعِظةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٣١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٩

كان بلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكونيُّ يقولُ في مَوْعظته:

«عباد الرحمن، لو سَلِمتُمْ من الخَطايا، فلم تعملوا فيما بينكم وبين الله خطيئة، ولم تَتْرُكُوا لله طاعةً إلا جَهَدْتم أنفسَكم في أدائها إلا حبَّكم الدنيا، لَوَسِعَكم ذلك شرًّا، إلاَّ أنْ يتجاوزَ الله ويعفو».

---

(١) الأصْلاَبُ: جمع صُلبٍ، وهو عَظْمُ الظهر.

(٢) الحُرى: الخليق والجدير.

وكان يقول:

«عباد الرحمن، اعلموا أنكم تَعْمَلُونَ في أيامٍ قصارٍ لأيامٍ طوالٍ، وفي دارِ زوالٍ لدارِ مقامٍ، وفي دار نُصْبٍ[1] وحُزْنٍ لدارِ نعيمٍ وخُلْدٍ، ومَنْ لم يعمل على اليقين فلا يَفْتَرَّ».

١٥ ـ مَوْعِظَةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٣١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣٢٠

قال بلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكُونيُّ:

«أربعُ خِصالٍ جارياتٍ عليكم من الرحمن، مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم: أما رِزْقُهُ فَدارٌّ عليكم، وأما رحمتُهُ فغيرُ محجوبةٍ عنكم، وأما سَتْرُهُ فسابغٌ عَليكم، وأما عقابُهُ فلم يُعَجِّل لكم. ثم أنتم على ذلك لاهُونَ تجترؤون على إلهكم، أنتم تكلّمون ويوشك الله تعالى يتكلّم وتَسْكُتون. ثم يَثُورُ من أعمالكم دخانٌ تسودُّ منه الوجوه ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١]. عباد الرحمن، لو غُفرتْ لكم خطاياكم الماضية لكان فيما تَسْتَقْبِلونَ شُغْلٌ، ولو عملتم بما تعلمون لكنتم عبادَ الله حقاً».

١٦ ـ مَوْعِظَةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٣١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣١٩

قال بِلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكونيُّ:

«عبادَ الرحمن، هل جاءكم مُخْبِرٌ يخبركم أنَّ شيئاً من أعمالكمُ تُقُبِّلَ منكم، أو شيئاً من خطاياكم غُفِرَ لكم؟ أفحسبتم أنما خلقناكم عَبَثاً وأنكم إلينا لاتُرْجَعُونَ وا لله لو عَجَّل لكم الثوابَ في الدنيا لاسْتَقْلَلْتُم كُلُّكم ما افْتَرَضَ عليكم. أفترغبون عن طاعةِ الله لتعجيل دنيا تَفْنَى عن قريب، ولا ترغبون ولاتنافسون في جنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[الرعد: ٣٥]».

---

(١) النُّصْبُ: الداء والبلاء والشر.

١٧ ـ مَوْعِظةٌ لِبلالِ بنِ سَعْدٍ السَّكُونيِّ

حلية الأولياء ٥:٢٣٢

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣:٣٢٠

قال بِلالُ بنُ سَعْدٍ السَّكونيُّ:

«عبادَ الرحمن، إن العبدَ ليعمل الفريضةَ الواحدة من فرائض الله وقد أضاع ماسواها، فما زال الشيطانُ يُمَنّيه فيها، ويُزيِّنُ له، حتى مايَرَى شيئاً دون الله. فقبل أن تعملوا أعمالكم، فانظروا ماتريدون بها، فإنْ كانت خالصةً لله فأمْضُوها، وإنْ كانت لغير الله فلا تَشُقُّوا على أنفسكم ولا شيءَ لكم، فإن الله تعالى لايَقْبَلُ من العمل إلاّ ماكان له خالصاً، فإنه تعالى قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر: ١٠].

عبادَ الرحمن، مايزال لأحدكم حاجةٌ إلى ربه تعالى إما مسيئلة، وإما رغبةٍ إليه. وأمَّا عهدُ الله وأمْرُهُ ووَصِيَّتُهُ فعندك ضائع! أفكلَّ ساعة تريدونَ أن يتمَّ عليكم إحسان ربكم عندكم، ولاتَتَفَقَّدُون أنفسَكم في حقِّ ربكم عندكم؟ ماهذا بالنَّصَفِ فيما بينكم وبين ربكم!عبادَ الرحمن، اشْفِقُوا من الله، واحذروا الله، ولاتأمنوا مَكْرَهُ، ولا تَقْنطُوا من رحمته. واعلموا أن لِنِعَمِ الله عندكم ثمناً، فلاَ تَشقُّوا على أنفسكم! أتَعْمَلُون عملَ الله لثواب الدنيا؟ فمن كان كذلك فَوَ الله لقد رَضِيَ بقليلٍ حيث اسْتَعْنَتُمْ على اليسير من عمل الدنيا. فلم تُرْضُوا ربكم فيها،ورفضتم، مايبقى لكم وكفاكم منه اليسير».

١٨ ـ مَوْعظةٌ لِحسَّانَ بنِ عَطيَّةَ المُحاربيِّ

حلية الأولياء ٦:٧١

قال حَسَّانُ بنُ عطيَّةَ المُحاربيُّ:

«إن الإيمان في كتاب الله صار إلى العَمل، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢]. ثم صيَّرهم إلى العمل، فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] ».

١٩ ـ مَوْعظةٌ لِحسَّانَ بنِ عَطيَّةَ المُحاربيِّ

حلية الأولياء ٦:٧٣

قال حَسَّانُ بنُ عَطيَّةَ المُحاربيُّ:

«ما ابْتُدِعَتْ بِدْعَةٌ[١] إلاَّ ازدادت مُضيًّا، ولاتُرِكَتْ سُنَّةٌ إلاَّ ازدادت هَرَبًا»!

وقال:

«ما ابتدعَ قومٌ بدعةً في دينهم إلا نَزَع الله من سنتهم مِثْلَها، ولا يُعِيدها إليهم إلى يوم القيامة».

٢٠ ـ موعظةٌ لِحسَّانَ بنِ عَطيَّةَ المُحاربيِّ

حلية الأولياء ٦: ٧٤

قال حَسَّانُ بعد عطيَّةَ المحاربيُّ:

«خمسٌ مَنْ كنَّ فيه فقد جمع الله له الإيمان: النصيحةُ[٢] لله ولرسوله، وحبُّ الله ورسوله، ومَنْ بذل للناس من نفسه الرضا وكفَّ عنهم السخط، ومَنْ وَصَل ذا رحمِهِ، ومن كان ذكرُهُ[٣] في السِّرِّ كذكرِهِ في العلانية سواء» .

٢١ ـ موعظةٌ لِحسَّانَ بنِ عَطيَّةَ المُحاربيِّ

حلية الأولياء ٦:٧٥

قال حَسَّانُ بن عَطيَّةَ المُحاربيُّ:

«بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يابني آدم، إنا قد أنصتنا[٤] لكم مذ خلقناكم، فأنصتوا لنا اليوم تقرأ عليكم أعمالكم. فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فليحمد الله، ومَنْ وجد شرًّا فلا يَلُومنَّ إلاَّ نفسه، إنما هي أعمالكُم تُرَدُّ عليكم».

---

(١) البِدْعَةُ: كلُّ مُحْدَثَةٍ مما خَالَفَ أصُولَ الشريعة، و لم يوافق السُّنَّة.

(٢) النَّصيحة: إرادةُ الخَيْرِ للمَنْصُوحِ له.

(٣) الذكر: تمجيدُ اللهِ وتَقْديسُهُ وتَسْبيحُهُ وتَهْليلُهُ والثناء عليه بجميع محامده.

(٤) أنْصَتَ له: سكتَ واستمع له.

٢٢ ـ موعظةٌ لِحسَّانَ بنِ عَطيَّةَ المُحاربيِّ

حلية الأولياء ٦:٧٦

قال حَسَّانُ بن عَطيَّةَ المُحاربيُّ:

«ثمانيةٌ مَقَتهم[١] ا لله، وَقَدِرَتْهُمْ[٢] نَفْسُهُ، وميَّزهم من خلقه:

السَّقارون، وهم القَتَّالون، والمستكبرون الذين إذا دُعوا إلى ا لله وأمْرِه كانوا بطاء، وإذا دُعوا إلى السلطان وأمره كانوا سِراعاً، والذينَ يَسْتَحِقُّون بأيمانِهم[٣] مالم يحقه ا لله لهم، والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم، فإذا لقوهم تَخلَّقُوا لهم، والمشَّاؤون بالنميمة، والمُفرِّقون بين الأحبة، والباغون دَحْضَةَ[٤] البرآء».

٢٣ ـ مَوْعظةٌ لِنَوْفِ بن أبي فَضَالَةَ البِكَاليِّ

حلية الأولياء ٦:٤٩

قال نَوْفُ بنُ أبي فَضَالَةَ البِكَاليُّ، وكان يقرأ الكُتُب:

«إني لأَجِدُ أناساً من هذه الأمة في كتاب ا لله المُنَزَّل قَوْماً يحتالون للدُّنيا بالدين، ألسنتهم أحْلَى من العَسَلِ، وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبرِ،[٥] يَلْبَسُونَ للناس مُسُوكَ[٦] الضأن[٧]، وقلوبهم قلوب الذئب. يقول الرب تعالى: فَعليَّ تَجْتَرؤونَ، وبي تَغْتَرُّون! حلفتُ بنفسي لأبعثنَّ عليهم فِتْنةً تترُكُ الحليمَ فيها حَيْرانَ».

---

(١) مَقَتَهُ: أبْغَضَهُ أشدَّ البُغْض.

(٢) قَدِرَ الشيءَ: اسْتَقْذَرَهُ، أي: عَدَّهُ قَذِراً غير نظيف.

(٣) يَسْتَحِقُّونَ بأيمانِهم ما لم يُحِقَّهُ ا لله لهم: أي: يُوجِبُونَ لأنفسهم بحِلِفِهم با لله ما لم يُثْبِتْهُ ا لله لهم.

(٤) دَحَضَتْ حُجَّتُهُ: بَطَلَتْ، وحُجَّةٌ دَاحِضَةٌ: باطلة. والمَعْنى أنهم يُرِيدُون تكذيبَ البرآء واتهامهم بالباطل.

(٥) الصَّبِرُ: عُصارةُ شجرٍ مُرٍّ.

(٦) المُسُوكُ: جمع مَسْك، وهو الجِلْدُ.

(٧) الضَّأن: جمع الضائن، وهو من الغنم ذو الصوف خلاف المَعْز.

٢٤ ـ مَوْعظةٌ لِنَوْفِ بن أبي فَضَالَةَ البِكَاليِّ

حلية الأولياء ٦:٥٣

قال نَوْفُ بنُ أبي فَضَالَةَ البِكَاليُّ:

«رأيتُ عليَّ بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، خرج فنظر إلى النجوم، فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دِثاراً[١] وشعاراً،[٢] فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام. يا نوف: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مُرْ بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحدٍ من خلقي عنده مظلمة. يانوف: لا تكونن شاعراً ولا عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا عَشَّاراً،[٣] فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عَشَّاراً أو صاحب عرطبة[٤] أو صاحب كوبة[٥]».

٢٥ ـ مَوْعظةٌ لِنَوْفِ بن أبي فَضَالَةَ البِكَاليِّ

حلية الأولياء ٦:٥١

قال نَوْفُ بنُ أبي فَضَالَةَ البِكَاليُّ:

«كانت مريمُ عليها السلام فتاةً، وكان زكريا عليه السلام زوجَ أختها، كَفَلها فكانت معه، فكان يدخل عليها يُسَلِّمُ عليها، فَتُقَرِّبُ إليه فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء. فدخل عليها زكريا عليه السلام مرةً فَقَرَّبتْ إليه بعضَ ماكانت تُقَرِّبُ، قال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾

(١) الدثار: الثوب الذي يكون فوق الشعار.

(٢) الشعار: الثوب الذي يلي جَسَدَ الإنسان.

(٣) العَشَّار: الذي يقبض العشر.

(٤) العَرْطبة: العود، وقيل: الطنبور.

(٥) الكوبة: الطبل.

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران: ٣٧، ٣٨]. فبينا هي جالسة في منزلها إذا رجلٌ قائمٌ بين يَدَيْها قد هَتَكَ الحُجُبَ. فلما رأته قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]. فلمَّا ذَكَرتِ الرحمنَ فَزِعَ جبريل عليه السلام، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٩، ٢٠، ٢١]. فنفخ جبريلُ عليه السلام في جَيْبِها فحملت، حتى إذا أثقلتْ وَجعتْ كما تَوْجَعُ النساءُ. فلما وَجِعَتْ كانت في بيتِ النُّبوة، فاستَحْيَتْ فهربت حياءً من قومِها نحو المشرق. وخرج قومُها في طلبها يسألون عنها، فلا يخبرهم عنها أحدٌ. فأخذَها المَخاضُ فتساندت إلى النخلة وقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[مريم: ٢٣]. قال: حيضةً بعد حيضة ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾. قال جبريلُ عليه السلام من أقصى الوادي: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] ـ قال: جَدولاً ـ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦]. فلما قال لها جبرائيل اشتدَّ ظهرُها وطابت نفسها، وَقَطعت سَرَره[1]، ولفته في خِرْقةٍ وَحَملتهُ. فلقي قومُها راعيَ بَقَرٍ، وهم في طلبها، قالوا: ياراعي، هل رأيت فتاة كذا وكذا؟ قال: لا! ولكن رأيتُ البارحة في بقري شيئاً لم أره منها قطُّ فيما خلا. قالوا: ومارأيت منها؟ قال: رأيتُها باتتْ سُجَّداً نحو هذا الوادي، فانطلَقوا حيث وصف لهم، فلما رأتهم مريمُ عليها السلام، وقد جلستْ تُرْضِعُ عيسى عليه السلام، فجاؤوا حتى قاموا عليها، وقالوا لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨]. فأشارت إليه أن كَلِّمُوه فعَجبوا منها: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾. فلما قالوا ذلك، تركَ عيسى عليه السلام ثَدْيَهَا، واتكأ على يَساره، ثم تكلَّم: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١]. فاختلف الناس فيه».

---

(١) السَّرَرُ: ما يتعلَّق من سُرَّةِ المولود فيقطع.

٢٦- مَوْعظةٌ لِنَوْفِ بن أبي فَضَالَةَ البِكَالِيِّ

حلية الأولياء ٦:٤٨

قال نَوْفُ بنُ أبي فَضَالَةَ البِكَالِيُّ:

«انطلقَ موسى عليه السلام بوفادة[١] بني إسرائيل، فَنَاجَاهُ رَبُّه، فقال: إنّي أبسطُ لكم الأرضَ طَهوراً[٢] ومسجداً، تُصَلُّونَ حيث أدْرَكَتْكُم الصلاة إلا في حمامٍ أو مرحاضٍ أو عند قبرٍ، وأجْعلُ السكينة في قلوبكم. وإني أُنْزِلُ عليكم التوراةَ تُقرِّؤونَها على ظهر ألسنتكم، رجالَكم ونساءَكم وصبيانَكم. قالوا: لا نصلي إلاّ في كنيسةٍ، ولا نَجْعَلُ السَّكينة في قلوبنا، نجعل لها تابوتاً تحمل فيه، ولا نقرأ كتابنا إلا نظراً. قال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨]. قال موسى عليه السلام: يارب، اجعلني نَبيَّهم. قال: إن نبيَّهم منهم. قال: يارب أخّرني حتى تجعلني منهم. قال: إنك لن تُدْرِكَهم، قال موسى: يارب، جئتُ بوفادة بني إسرائيل، فكانت الوفادةُ لغيرهم. قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. فكانَ نَوْفٌ البِكَالِيُّ يقول: احْمَدُوا ربَّكم الذي شَهِدَ غَيْبَتكم، وأخذ بسَهْمِكم، وجَعَلَ وفادةَ بني إسرائيل لكم».

٢٧ - موعظةٌ لأيْفَعَ بنِ عَبْدٍ الكَلاعيِّ

حلية الأولياء٥:١٣١

قال أيْفَعُ الكَلاعيُّ يَعِظُ الناس:

«إن لجهنم سبعَ قناطر، فالصراط[٣] عليها، والله تعالى في الرابعة منها، فَيُحْبَسُ الخلقُ عند القنطرة الأولى، فيقال: قِفُوهم إنهم مسؤولون، فَيُحْبَسُون على الصلاة ويسألون عنها. قال: فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا بالأمانة كيف أدوها

---

(١) الوفادة: الاسم من وفِدَ أي: وَرَدَ وقدم.

(٢) الطَّهُورُ: ما يُتَطَهَّرُ به. والمطهور في الأصل اسمٌ للماء الذي يُتطَهَّرُ به.

(٣) الصراط: الطريق الواضح.

وكيف خانوها، فَيهْلكُ فيها من هَلَكَ، وينجو مَنْ نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئِلوا عن الرَّحم كيف وصلوها؟ وكيف قطعوها؟ فيهلك فيها مَنْ هلك، وينجو من نجا. والرحم يومئذ ردف الربِّ تعالى متدلية في الهواء إلى جهنم تقول: اللهم مَنْ وصلني فَصِلْهُ اليوم، ومَنْ قطعني فاقطعه اليوم».

٢٨ ـ مَوْعظةٌ لِشَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ

حلية الأولياء ٦:٦٠

قال شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ الأشعريُّ:

«كان مَلَكُ الموت عليه السلام، صديقاً لسليمان بن داود عليهما السلام، فبينا هو ذاتَ يومٍ معه وابنُ عم له عنده، فجاء ملكُ الموتِ ينظر إليه. فقام ملك الموت، فقال الشاب لسليمان: من هذا؟ قال: ملكُ الموت. قال: لقد نظر إليَّ نظراً أرعبَ قلبي، فَمُرِ الريحَ تُلْقيني[1] بالهند، فأمرَ الريحَ فألقته بالهند فرجع. فقال له سليمان: إن ابن عَم لي كان معي، ذكر أنك نظرت إليه فأرعبته، فقال: مُرِ الريح تُلقيني بالهند، فأُمرتِ الريحُ فألقَتْهُ. قال: لقد أمِرتُ بقبضِ رُوحه بالهند، وقد قبضتُ روحَهُ».

٢٩ ـ مَوْعظةٌ لِشَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ

حلية الأولياء ٦:٦٠

قالَ شهرُ بنُ حَوْشَبٍ الأشعريُّ:

«بينما عيسى عليه السلام، جالسٌ مع الحَواريِّينَ، إذ جاء طائرٌ منظومُ الجناحين باللؤلؤ والياقوت كأحسن مايكون من الطير، فجعل يَدْرُجُ بين أيديهم. فقال عليه السلام: دَعُوه لاتُنَفِّروه، فإن هذا بُعِثَ لكم آيةً، فخلع مسلاخه[2]، فخرج أقرع أحمر كأقبح ما يكون. فأتى بركة فتلوث في حمأتها[3] فخرج أسود قبيحاً. فاستقبل جربة الماء فاغتسل، ثم عاد إلى مسلاخه، فلبسه فعاد إليه حسنه وجماله. فقال عيسى عليه السلام: إن هذا بعث لكم آية. إن مثل هذا كمثل المؤمن إذا تلوث في الذنوب والخطايا نُزِعَ منه حسنه وجماله،وإذا تاب إلى ا لله عاد إليه حسنه وجماله».

---

(١) ألْقَتْهُ الريح: حَمَلَتْهُ وطَرَحَتْهُ.

(٢) المسلاخ: الجِلْدُ.

(٣) الحمأة: الطين الأسود المُنْتن.

٣٠ ـ مَوْعظةٌ لِشَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ

حلية الأولياء ٦:٦١

قالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ الأَشعريُّ:

«كان يقال: إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرضُ مدَّ الأديم، ثم حَشَر الله مَنْ فيها من الجن والإنس، ثم أخذوا مصافهم من الأرض. ثم نزل أهل السماءِ بمثْل مَنْ في الأرض، ومِثْلُهم معهم من الجن والإنس، ثم أخذوا مصافهم من الأرض. حتى إذا كانوا على رؤوس الخلائق أضاءت الأرض لوجوههم، فيخرُّ أهلُ الأرض ساجدين، ثم أخذوا مصافهم. ثم ينزل أهل السموات السبع على قدر ذلك من التضعيف قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، تحمله الملائكة على كواهلها بأيدٍ وعزة وحسن وجمال. حتى إذا استوى على كرسيه نادى لمن الملك اليوم؟ فلم يجبه أحد فيعطفها على نفسه، فقال: لله الواحد القهار، اليوم تُجْزَى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب».

٣١ ـ مَوْعظةٌ لِشَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ

حلية الأولياء ٦:٦٢

قالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ الأَشْعَرِيُّ:

«قال لقمان لابنه: يابني، لاتطلب العلم لتباهيَ[1] به العلماء، وتُماري[2] به السفهاءَ، ولا تُرائي به في المجالس. ولاتدع العلمَ زهادةً فيه ورغبةً في الجهالة. فإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يُعلّموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمةٍ فيصيبك بها معهم. وإذا رأيت قوماً لايذكرون الله، فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يطلع عليهم بِسَخْطةٍ فيصيبك بها معهم».

---

(١) باهَى بالشيء: فَاخَر به.

(٢) مارَى به: جادل وناظر.

٣٢ ـ مَوْعظةٌ لِشَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ

حلية الأولياء ٦:٦١

قالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ الأَشعريُّ:

«مَلَكُ الموتِ جالسٌ والدنيا بينَ رُكْبَتَيْه، واللَّوْحُ الذي فيه آجال[1] بني آدم في يديه، وبين يَديه ملائكةٌ قيامٌ. وهو يَعْرِضُ اللَّوْحَ لايَطْرِفُ، فإذا أتى على أجلِ عبدٍ، قال: اْقبِضُوا هذا! اقبضوا هذا»!

٣٣ ـ موعظةُ محمدِ بن الحَنفيَّةِ ليزيدَ بنِ معاوية

كتاب الفتوح ٥:٢٦١

دعا يزيدُ بنُ معاويةَ محمدَ بن الحنفيَّة لزيارته بدمشق، فلما قدم عليه قرَّبَهُ وأدْناه، وأنزله في بعض منازله. وكان ابن الحنفيَّة يدخل إليه صباحاً ومساءً. ثم أقبل وَفْدُ أهلِ المدينة، فأقاموا عند يزيد أياماً، فأكرَمهم وأجازَهم. ولما أرادوا الانصراف إلى المدينة استأذنه ابن الحنفيَّة في الانصراف معهم، فأذن له في ذلك، ووصله بمائتي ألف درهم، وأعطاهُ عُروضاً بمائتي ألف درهم. ثم قال له: يا أبا القاسم، إني لأعلم على وَجْه الأرض في مثل اليوم رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام، وقد كنتُ أحببتُ أن لاتفارقني، وأنْ تَعِظني وتأمرني بما فيه حَظّي ورشدي، فوالله لا أحبُّ أن تنصرف عني وأنت ذامٌّ لشيءٍ من أخلاقي، فقال له ابنُ الحنفيَّة:

«أمَّا ماكان منك إلى الحسين فذاك شيء لايُسْتَدْرَكُ[2]، وأمَّا الآن فإني مارأيتُ منك منذ قدمت عليك إلا خيراً، ولو رأيتُ منك خِصْلةً أكْرَهُها لما وَسِعَني السكوتُ دون ماأنهاك عنها، وأخبرك بحقٍّ الله فيها الذي أخذَ الله ـ تبارك وتعالى ـ على العلماء في علمهم أن يبينوهُ للنَّاس، ولا يكتمونه. ولست مُؤَدِّياً عنك إلى مَنْ ورائي مِنَ النَّاس إلاَّ خيراً، غير أني أنهاك عن شربِ هذا المسكر، فإنّه رِجْسٌ[3] من عمل الشيطان. وليس مَنْ ولي أمور الأمة ودُعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد على المنبر كغيره من الناس، فاتّقِ الله في نفسك، وتدارك ما فات مِن أمرك. والسلام».

---

(١) الآجال: جمع أجل، وهو غاية الوقت في الموت. والأَجَلُ: مدة الشيء.

(٢) تَدَارَكَ الشيءَ واسْتَدْرَكَهُ: تَلاَفَاهُ.

(٣) الرِّجْسُ: القَذَرُ والنَّجَسُ.

٣٤ ـ مَوْعظةُ طاوُوسِ بنِ كَيْسانَ لسليمانَ بنِ عبد الملك

حلية الأولياء ٣:١٥
والإمامة والسياسة ٢:١٠٥
والبداية والنهاية في التاريخ ٩:٢٣٧

لـمَّا حجَّ سليمانُ بنُ عبد الملك رأى رجلاً يطوفُ بالكعبةِ، له جمال وكمال، فقال لمحمد ابن مُسْلِمِ بن شهاب الزهري: من هذا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا طاووسٌ اليماني، وقد أدرك عِدَّةً من الصحابة. فأرسل إليه سليمان فأتاه، فقال: لَوْمَا حَدَّثْتنا؟ فقال:

«حدثني أبو موسى الأشعريُّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أهون الخلق على الله مَنْ وليَ من أمر المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم»! فتغير وجه سليمان، فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لوما حدثتنا؟ فقال: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال ابن شهاب: ظننت أنه أراد علياً، قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، فقال: «إن لكم على قريش حقاً، ولهم على الناس حق، ما استرحموا فرحموا، واستحكموا فعدلوا، وائتمنوا فأدوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكةِ والناس أجمعين، لا يَقْبَلُ الله منه صَرْفاً[1] ولا عَدْلاً[2]». فتغير وجه سليمان، فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لوما حدثتني؟ فقال: حدثني ابن عباس ﷺ، أن آخر آية نزلت في كتاب الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]».

٣٥ ـ مَوْعظةُ أعْرابيٍّ لِسُليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ

عيون الأخبار ٢:٣٣٧
والعقد ٣:١٦٦
وزهر الآداب ١:٢٥٩
ووفيات الأعيان ٢:٤٢٤

قامَ أعْرابيٌّ بينَ يَدَيْ سليمانَ بنِ عبدِ المَلكِ، فقال:

«إني مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنينَ بكلامٍ فيه بعضُ الغِلظةِ، فاحتَمِلْهُ إن كرهتَه، فإنَّ وراءه ماتُحبُّه إنْ قبلتَه. قال: هاتِ ياأعرابيّ. قال: فإني سأطلِقُ لساني بما خَرِسَتْ عنه

(١) الصرف: التوبة.
(٢) العدل: الفداء.

الألسُنُ من عِظَتكَ تأديةً لِحقِّ اللهِ وحقِّ إمامَتِك: إنه قد اكتنفَكَ رجالٌ أساؤوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياكَ بدينهم، ورِضَاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ في الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِلْمٌ للدنيا. فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا [١] الأمانةَ تضييعاً، والأمةَ عَسْفاً[٢] وخسفاً[٣]، وأنت مسؤولٌ عما اجْتَرَحُوا[٤]، وليسوا مَسؤولينَ عمَّا اجْتَرَحْتَ. فلا تُصْلِحْ دنياهم بفسادِ آخرتكَ، فإنَّ أعظمَ الناسِ غَبْناً[٥] مَنْ باع آخرَتَهُ بدُنيا غيره. قال سليمان: أمّا أنت يا أعْرابيُّ فقد سلَلتَ لسانكَ، وهو أقطعُ سَيْفَيْكَ. فقال: أجلْ، لكَ لاعليكَ»!

٣٦ ـ مَوْعِظةُ محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظيِّ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ

عيون الأخبار ٢:٣٤٣
والبيان والتبيين ٣:١١٣
وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ١٣٤

قامَ محمدُ بنُ كعبٍ القُرظيُّ بينَ يَديْ عمر بن عبدِ العزيز، فقالَ:

«إنَّما الدُّنيا سُوقٌ من الأسواق، فمنها خرجَ الناسُ بما يَنْفَعُهمْ وبما يَضُرُّهم. وكم من قومٍ قد غَرَّهم مِثْلُ الذي أصبَحْنا فيه، حتى أتاهم الموتُ فاستوعَبَهُم، فخرجُوا من الدُّنيا مُرْمِلين[٦]، لم يَأخُذُوا لِمَا أحَبُّوا من الآخِرَة عُدَّةً، ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً[٧]، واقْتَسَمَ ماجَمَعُوا مَنْ لم يَحْمَدْهم، وصارُوا إلى مَنْ لايَعْذِرهم. فانظر الذي تُحِبُّ أنْ يكونَ معك إذا قَدِمتَ، فَقَدِّمْهُ بينَ يَدَيْكَ حتى تخرج إليه. وانظرِ الذي تَكْرَهُ أنْ يكونَ معك إذا

---

(١) لن يألوا: لن يُقَصِّروا.
(٢) العسف: الظلم.
(٣) الخسف: الذل والهوان.
(٤) اجترحوا: اقترفوا واكتسبُوا.
(٥) الغَبْنُ: انْتِقاصُ الثمَنِ في البَيع، أي: الخسارة في التجارة.
(٦) المُرْمِلُونَ: جمع مُرْمِل، وهو الذي نَفِدَ زادُهُ وافتَقَرَ.
(٧) الجُنَّةُ: الدِّرْعُ، وكلُّ ما وَقَاك.

قَدِمت، فابتغِ به البَدَلَ، حيثُ يَجُوزُ البَدَلُ. ولا تَذْهَبَنَّ إلى سِلْعة قد بَارَتْ[١] على غيرك، تَرْجُو جَوَازَهَا[٢] عنك. يا أميرَ المؤمنينَ، افْتَحِ الأبوابَ، وسَهِّلِ الحِجَابَ، وانْصُرِ المَظْلُومَ».

٣٧ ـ مَوْعِظةُ مُحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرظيِّ لعمر بنِ عبدِ العزيزِ

أنساب الأشراف ٨:٢٠٣

«قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز لمحمدِ بن كَعْبٍ: عِظْني؟ فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ فيك جُرْأةً[٣]، وَجُبْناً[٤]، وكَيْساً[٥] وعَجْزاً[٦]، فَدَاوِ بَعْضَ مافيك ببَعْضٍ. وعليك بأهل الدِّينِ والعَقْل، فإنَّهم يَكْفُونَك[٧] أنْفُسَهم، ويُعينونك على غَيْرِهم. وإيَّاك ومَنْ مَوَدَّتُهُ لكَ بقَدْر حَاجَتِه إليك، فإذا انْقَطَعَتْ حَاجَتُهُ ذَهَبَتْ مَوَدَّتُهُ. وإذا اصْطَنَعْتَ[٨] صنيعَةً[٩] فأحْسِنْ رَبَّها[١٠] وغِذاءَها. فقالَ عمرُ: أحسنَ الله جزاءَك».

---

(١) بارتِ السِّلعةُ: كَسَدت ولم تَرُجْ ولم تَنْفُقْ.

(٢) جَوَازُها: سَوْغُها، أي مُضيُّها ونَفَاذُها.

(٣) الجرأة: الشجاعة والإقدام.

(٤) الجُبْنُ: التَّأخُّر والإحجام.

(٥) الكَيْسُ: العَقْلُ والفِطنَةُ والتَّوَقُّدُ.

(٦) العَجْزُ: الضَّعْفُ والتَّقْصيرُ.

(٧) كَفَاهُ نَفْسَهُ: وَقَاهُ شَرَّهَا ومكْرُوهَها، وأغناه عن القيامِ بأمرها.

(٨) اصْطَنَعَ المعروفَ: قَدَّمَهُ وأسْدَاهُ.

(٩) الصَّنيعةُ: العَطيَّةُ والكرامةُ والإحسان، وقيل: ما قَدَّمْتَهُ من خيرٍ، وما أسْدَيْتَهُ من معروفٍ.

(١٠) رَبَّ المعروفَ والصَّنيعةَ والنِّعْمةَ وربَّبها: نَمَّاها وزادَها وأتَمَّها وأصْلَحَها.

٣٨ ـ مَوْعظةُ رَجُلٍ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨:١٧٦

وَعَظَ عمرَبنَ عبدِ العزيزِ رجلٌ فقال:

«إنَّكَ أدْرَكْتَ من الحقِّ رَسْماً[١] قد عَفَا[٢]، وأمراً قد أدْبَرَ[٣]. فأنتَ لاترى شيئاً واضحاً فَتَتَّبِعَهُ، فكأنَّكَ في بَحْرٍ تَضْطَرِبُ أمْواجُهُ. فاعتَصِمْ[٤] بحبلِ اللهِ[٥]، واستَعِنْ بالله، وعليك بالعَدْلِ الذي به تَدْمَغُ[٦] الباطلَ وتُزْهِقُهُ[٧]».

٣٩ ـ مَوْعِظَةُ عبدِ اللهِ بنِ الأهْتَمِ المِنْقَرِيِّ لعمرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ

البيان والتبيين ٢:٩٥

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص:١٠٩

والعقد ٤:٩٣

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص:١٣٦

دخلَ عبدُ اللهِ بنُ الأهْتَمِ على عمرَبنِ عبدِ العزيزِ مـعَ العامـةِ، فلـم يُفْجَـأ عمـرُ إلاَّ وهو ماثلٌ بينَ يَدَيْهِ يتكلمُ، فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثمَّ قالَ:

«أمَّا بعد، فإنَّ اللهَ خلقَ الخلقَ غنيًّا عن طاعَتِهم آمناً لِمَعْصيتهـم، والنـاسُ يومئـذ في المنـازلِ والرأي مُخْتلفون، والعربُ بشَرٍّ تلك المنازل، أهـلُ الوَبرِ[٨] وأهـلُ المَـدَرِ[٩]. تُحتَـاز[١٠] دونهـم

---

(١) الرَّسْمُ: الأثَر، أو بَقيَّة الأثر.

(٢) عَفَا: دَرَسَ وانْدَثَر، أو انْطَمَسَ وامَّحَى.

(٣) أدْبَرَ: ذَهَب وتَوَلَّى.

(٤) اعْتَصَم: امْتَنَعَ.

(٥) حَبْلُ الله: تَرْكُ الفُرْقَة واتِّباعُ القرآن، وقيل: القرآن والدِّين والسَّبَبُ.

(٦) دَمَغَ الباطلَ: عَلاَهُ وغَلَبَهُ وأبْطَلَهُ، وقيل: ذَهَب به ذهاب الصَّغار والذُّلِّ.

(٧) أزْهَقَ الباطِلَ: أذْهَبَهُ وأزالَهُ، أو أبْطَلَهُ وأهْلَكَهُ وجَعَلَهُ يَضْمَحِلُّ.

(٨) أهل الوبر: أهل البوادي.

(٩) أهل المدر: أهل المدن والقرى.

(١٠) تُحتاز: تؤخذ وتضم لغيرهم فيستبد بها ويَسْتَأثِرُ.

طَيِّباتُ الدنيا ورَفَاغَةُ عيشَتِها[١]، مَيِّتُهم في النارِ، وَحيُّهم أعْمَى، مع مالا يُحْصى من المرغوبِ عنه والمَزْهُودِ فيه. فلمّا أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بَعَثَ فيهم رسولاً من أنفسهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فلم يمنعهم ذلك من أنْ جَرَّحُوهُ في جسمِه، ولقَّبوه في اسمه[٢]، وأخْرَجُوهُ من داره، ومعه كتابٌ من اللهِ لايَرْحَلُ إلاَّ بأمره، ولا ينزلُ إلاَّ بإذنه، وَيَمُدُّهُ بملائكتِه، ويُخْبِرهُ بالغَيْبِ المكتومِ من أمرِه، وضَمِنَ له ظَفَرَ عاقبةِ الأمور. واضْطرُّوهُ إلى بطنِ غارٍ. فلما أُمِرَ بالعزيمةِ أسْفَرَ[٣] لأمر الله لونُهُ، فأفلجَ[٤] الله حُجَّتَهُ، وأعْلى كلمتَهُ، وأظهر دَعْوَتَهُ، ففارقَ الدنيا تقياً نقياً ﷺ.

ثم قامَ من بعدِهِ أَبوبكرٍ، رضي الله تعالى عنه، فسلك سُنَّتَهُ، وأخذَ بسَبيله. وارْتَدَّتِ العَرَبُ، فلم يقبلْ منهم بعدَ رسولِ الله ﷺ إلاَّ الذي كانَ قابلاً منهم. فانْتَضَى[٥] السيوفَ مِن أغمادِها، وأوقدَ النيران من شُعلها، ثم ركبَ بأهلِ الحقِّ أهلَ الباطل، فلم يَبْرَحْ يَفْصِلُ أوصالهم[٦]، ويَسْقي الأرضَ دماءهم، حتى أدْخَلهم في الذي خَرَجُوا عنه، وقرَّرهم بالذي نَفَرُوا منه. وقد كانَ أصابَ من مال الله بَكْراً[٧] يرتوي عليه، وحَبشيَّةً تُرْضِعُ ولداً له، فرأى ذلك غُصَّةً[٨] عند مَوتهِ في حَلْقِهِ. فأدَّى ذلك إلى الخليفةِ مِن بَعْدِه، وبَرِئَ إليهم منه، وفارقَ الدنيا تقياً نقياً على منهاجِ صاحبه ﷺ.

ثم قامَ من بعدهِ عُمرُ بنُ الخطَّاب، رضي الله تعالى عنه، فمصَّرَ الأمصار، وخَلَطَ الشِّدةَ باللين، وحَسَر عن ذراعيه، وشَّمر عن ساقيه وأعدَّ للأمورِ أقرانها، وللحرب آلتها. فلما أصابه

---

(١) رفاغة العيش: سعة العيش وطيبه.

(٢) لقّبوه في اسمه: وصفوه بأنه ساحرٌ وكذّابٌ وكاهنٌ وشاعرٌ.

(٣) أسفر: أشرق وأضاء.

(٤) أفلج الله حجته: أظهرها ونَصرها.

(٥) انتضى السيف: سَلَّه من غمده وأخْرَجَهُ.

(٦) يفصل أوصالهم: يقطع مفاصلهم.

(٧) البَكر: الفتي من الإبل.

(٨) الغصة: الشجا والشرق.

قِنٌّ[١] المغيرةِ بن شُعبةَ أمرَ ابن عباسٍ أنْ يسأل الناسَ: هل يُثبتون قاتله؟ فلما قيل له: قِنٌّ المغيرةِ، استهلَّ[٢] بحمد ا لله أن لايكون أصابه ذو حق في الفيء، فيستحلَّ دمه بما استحلَّ من حقه. وقد كان أصابَ من مال ا للهِ بضْعاً وثمانين ألفاً، فكَسَر[٣]بها رِباعه[٤]، وكره بها كَفَالةَ أهلهِ وولده، فأدَّى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه رضي ا لله تعالىعنهما. ثم إنا وا لله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظَلَعٍ[٥]. ثم إنك ياعمرُ ابنُ الدنيا، وَلَدَتْكَ مُلُوكها، وَغَذَتْكَ كَلاُها، وألقمتك ثديها، فلما وَليتَها أَلْقَيْتَها حيثُ ألقاها ا لله. فالحمد لله الذي جَلاَ بكَ حَوْبَتَنَا[٦]، وكشف بكَ كُرْبَتَنا[٧]. امضِ ولا تلتفتْ، فإنه لايُغني من الحق شيئاً. أقول قولي هذا، وأستغفر ا لله لي ولكم، وللمؤمنين والمؤمنات، ولما أن قال: ثم إنا وا لله ما اجتمعنا بعدهما إلاَّ على ظَلَعٍ، سكت الناسُ كلُّهم إلا هشَاماً[٨] فإنه قال: كذبت» !

٤٠ ـ مَوْعِظَةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَرِيِّ لعمرَ بنِ عبد العزيز

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥:٥٦

وَعَظَ خالدُ بنُ صَفْوَانَ عُمَرَ بنَ عبدِ العزيز، فقال:

«ياأميرَ المؤمنينَ، إنَّ أقواماً غَرَّهم سَتْرُ ا للهِ[٩]، وَفَتنهُمْ حُسْنُ الثَّناء، فلاَ يَغْلِبنَّ جَهْلُ غَيْرِك بك عِلْمَكَ بنَفْسِك. أعاذنا ا للهُ وإيّاك أن نكونَ بالسَّترِ مَغْرُورينَ، وبثناءِ النَّاسِ مَسْرورينَ، وعما افْتَرَضَ ا للهُ مُتخلِّفينَ ومُقَصِّرينَ، وإلى الأهْواءِ مائِلينَ».

---

(١) القن: عبد الملك هو وأبوه.

(٢) استهل: صاح.

(٣) كسر: باع.

(٤) الرِّباع: جمع رَبْع، وهو الدار والمنزل، أي: باعها رَبْعاً رَبْعاً.

(٥) في الحديث: «أُعْطي قوماً أخاف ظَلَعَهُمْ» . هو بفتح اللام. أي مَيْلَهُمْ عن الحقِّ وَضَعْفَ إيمانهم، وقيل: ذَنْبهم. وأصْلُهُ داءٌ في قوائم الدَّابة تَعْمِزُ منه. (اللسان: ظلع).

(٦) الحوبة: الحاجة والهم.

(٧) الكربة: الحزن والغَمُّ.

(٨) المراد هشام بن عبد الملك.

(٩) سَتْرُ ا للهِ: حِفْظُهُ للمساوئ وإخفاؤه لها، لأنه لا يُحبُّ هَتْكَها وإظهارَها. وفي الحديث: «إنَّ ا للهَ حَيِيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ السَّتْرَ». سَتِيرٌ: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ، أي: من شأنه وإرادته حُبُّ السَّتْرِ والصَّوْنِ. (اللسان: سَتَرَ).

٤١ ـ مَوْعِظَةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَرِيِّ لعمرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥:٥٦

دَخَلَ خالدُ بنُ صَفْوَانَ على عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ، فَوَعَظَهُ، فقال:

«إنَّ الله لم يَرْضَ أحَداً أنْ يكونَ فَوْقَكَ، فلا تَرْضَ أحداً أنْ يكونَ أوْلَى[١] بالشُّكْرِ منك»!

٤٢ ـ مَوْعِظَةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَرِيِّ لِهِشامِ بنِ عبدِ المَلكِ

أنساب الأشراف ١٢:٢٨٣

وعيون الأخبار ٢:٣٤١

والإمامة والسياسة ٦:١٢٦

والأغاني ٢:١٣٦

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥:٥٧

قالَ خالدُ بنُ صفوانَ:

«وَفدْتُ على هشامِ بنِ عبدِ المَلكِ فَوَجدْتُهُ قد بَدا[٢] لِشُرْبِ اللَّبَنِ، وذلك في عامٍ قد بَكَّرَ وَسْمِيُّهُ[٣] وتَتابَعَ وَلِيُّهُ[٤]، وأخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها[٥]، وأنواعَ زِينَتِها، فهي كالزَّرابيِّ[٦] المبثوثة[٧] والقُباطيِّ[٨] المَنشورةِ[٩]، وكأن ترابَها الكافُور[١٠]، فلو أُلْقِيَتْ

---

(١) أوْلَى: أحَقُّ.

(٢) بَدَا: خرج إلى البادية.

(٣) الوَسْميُّ: مَطَرُ الرَّبيع الأوَّلَ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يَسِمُ الأرْضَ بالنَّبات.

(٤) الوَلِيُّ: المَطَرُ الذي يلي الوَسْميَّ.

(٥) أخذت الأرضُ زُخْرُفَها: أي: زينَتَها من الأنْوارِ والزَّهْرِ مابين أحْمَرَ وأصْفَرَ وأبيضَ.

(٦) الزَّرابي: البُسُطُ المُلوَّنَةُ والنَّمارِقُ، أي: الوسائد الصغيرة.

(٧) المبثوثة: المبسوطة.

(٨) والقُباطيُّ: بضم أوَّلِهِ وتَشْديدِ آخرِهِ، أو بفتح أوَّلِهِ وتَخْفيفِ آخرِه: جمع قُبْطِيَّةٍ، وهي ثيابٌ كتان بيضٌ رِقاقٌ تُعْمَلُ في مصر.

(٩) المنشورة: المبسوطة.

(١٠) الكافور: أخلاطٌ من الطِّيب.

بَضْعَةٌ[١] لم تُتَرَّبْ[٢]. وقد ضُربتْ له سُرادقاتٌ[٣] حِبَرةٌ[٤] بعثَ بها يوسفُ بنُ عُمَرَ من اليمنِ، فهي تَتلألأُ[٥] كأنَّها العِقْيَانُ[٦]. فَذكَرني مَسْلَمةُ[٧] له، فأرسلَ إليَّ، فدخلتُ إليه، وإذا تَحْتَهُ أربعةُ أفرشةٍ مُوَشَّاةٍ مثلها[٨] مَرافِقُها[٩] ومَخادُّها، وعليه جبة خَزٍّ، وعمامة خَزٍّ. فَجَدَّدْتُ له دُعاءً، ولم أزل قائماً حتى أذِنَ لي في الجُلوسِ. ثم نظرَ إليَّ كالمُسْتَنْطِقِ لي، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ أتمَّ اللهُ عليك نِعَمَهُ، ودَفَعَ عنك نِقَمَهُ[١٠]، هذا مَقامٌ زيَّنَ اللهُ به أمري، ورَفعَ قَدْري وذِكْري،[١١] وأطابَ نَشْري[١٢]، إذ أرَاني وَجْهَ أميرَ المؤمنينَ، ولن أَرَى لِمَقعَدي هذا جزاءً هو أفضلُ من أنْ أُنبِّه أميرَ المؤمنين على تَفْضِيلِ اللهِ إيّاه، ليَحْمَدَ اللهَ على ما أولاهُ[١٣] وأعطاهُ، ولا أرَى مَوْعظةً هي أحْضَرُ من حديثِ ملكٍ من سالفِ الملوكِ، فإنْ أَذِنَ لي أميرُ المؤمنين حَدَّثْتُهُ. فاسْتَوَى جالساً، ثم قال: هاتِ يا بنَ الأهْتَمِ. فقلت: كانَ ملكٌ فيما مَضَى جُمِعَ له فَتاءُ[١٤] السِّنِّ، وذَكاءُ[١٥] الشَّبابِ، وصِحَّة

---

(١) البَضْعَةُ: القطعة من اللحم.

(٢) أتربَهُ وتَرَّبَهُ: جعل عليه التراب.

(٣) السُّرادقات: جمع سُرادق، وهو كلُّ ماأحاط بالبناءِ أو مُدَّ فَوْقَ صَحْنِ الدَّار.

(٤) الحِبَرَة: بكسر الحاء وفتحها: ضربٌ من بُرودِ اليمن مُنَمَّرٌ، أي: فيه نَقطٌ سُودٌ.
يقال: بُرْدٌ حِبَرةٌ، وبُرودٌ حِبَرَةٌ على الوصف والإضافة.

(٥) تتلألأ: تلمَع وتبرق وتتوهج.

(٦) العِقيان: الذهب.

(٧) يعني مَسْلَمةَ بنَ عبد الملك.

(٨) الموشاة: المُنَمْنَمةُ المُلَوَّنة، أو المُنَقَّشةُ المُحَسَّنة، أي: المَنْسُوجة من ألوانٍ شَتَّى.

(٩) المَرافق: جَمعُ مِرْفَقةٍ ومِرْفَق، وهي المُتَّكأُ والمِخدَّةُ.

(١٠) النِّقَمُ: جمع نقمةٍ، وهي العقوبة.

(١١) الذِّكر: الصِّيتُ والشَّرَفُ.

(١٢) النَّشر: الرِّيح الطَّيِّبة.

(١٣) أولاه: أنعَمَ عليه، وأوْلاهُ مَعْروفاً: أسْدَاهُ إليه.

(١٤) الفَتاء: الشباب.

(١٥) الذَّكاء في الشباب: تَمامُ السِّنِّ، أي: النِّهايةُ في الشباب واسْتِتمامُ القُوَّة.

الطِّباعِ، وكثرةُ المالِ، وَسَعةُ المُلْكِ. فأشرفَ[١] يوماً، وذلك بالخَوَرْنَقِ[٢]، فنظرَ إلى ماجُمعَ له فأعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ[٣]، فقال لمن حَضَرَهُ: هل عَلِمْتُمْ أحداً أُوتي مثلَ ما أُوتِيتُ؟ فَسكَتَ القومُ وفيهم رجلٌ من بقايا حَملةِ الحُجَّة[٤]، فقالَ له: إن أذنتَ تَكلَّمْتُ. قالَ: قل. قال: أرأيتَ ماجَمَعَ الله لك أشيءٌ هو لكَ لم يزلْ ولا يَزالُ، أم شيءٌ كانَ لمن قَبْلَكَ، فزالَ عنهم وصارَ إليك، وكذلك يَزولُ عنك؟ قال: لا بل شيءٌ كانَ لمن قَبْلي، وهو زائلٌ عني. فقال: لاأراكَ إلا مَفْتُوناً[٥] بشيءٍ تَذْهَبُ عنك لَذَّتُهُ[٦] وتبقى تَبِعَتُهُ[٧]، تكون فيه قليلاً، وتُرتَهَنُ به[٨] طويلاً! فبكى وقال: إلى أينَ المهربُ،[٩]وعلى ماذا يكونُ المُعوَّل[١٠]؟ فقال: إمَّا أنْ تُقِيمَ في مُلْكِكَ، فتعملَ بطاعةِ ربِّكَ، وإمَّا أنْ تُلْقي عليك أمساحاً[١١]، وتلحقَ بجبلٍ تعبدُ فيه رَبَّك، حتى يأتِيَكَ أجَلُكَ، فتكون لك حياةٌ لا موتَ بعدَها، وصحَّةٌ لا سَقَمَ معها. فألقَى عليه أمساحاً، وتعبَّدَ في بعضِ الجِبال حتّى مات.

---

(١) أشْرَفَ: علا وارْتَفَع.

(٢) الخَوَرْنَق: قَصْرٌ بظاهِرِ الحِيرة.

(٣) أعْجَبَتْهُ نَفْسُه: زُهِيَ بنفسه وتكَبَّرَ وتَاهَ وافتَخَرَ وتَعَظَّم.

(٤) حَمَلةُ الحُجَّة: أي: حَمَلةُ البرهان والعلم الذين يقومون بهما لله تعالى في عباده.

(٥) فُتِنَ بالشَّيْء: أعْجِبَ به وغَلاَ في طَلَبِه.

(٦) اللَّذَّةُ: المَنْفَعةُ.

(٧) التَّبِعَةُ: مافيه إثْمٌ يُتْبَعُ به، يقال: ماعليه في هذا الأمرَ تَبِعَةٌ، أي: إثْمٌ يُحاسبُ عليه ويُعاقب به.

(٨) ارْتُهِنَ بالأمر: أُخِذَ به، يقال: فلانٌ رَهْنٌ بعمله ورَهِينٌ ومُرْتَهَنٌ به: أي مَأخوذٌ به.

(٩) المَهْرَبُ: الهَرَبُ، أي: الفرارُ.

(١٠) المُعَوَّل: المُعْتَمَدُ والمُتَّكَلُ.

(١١) الأمْسَاحُ: جَمْعُ مِسْحٍ، وهو الكِساءُ من شَعَرٍ كثوب الرهبان.

قال: وأنشدته قول عديِّ بن زيدٍ العِباديِّ:[١]

أينَ كِسْرَى كِسْرَى المُلوكِ أنو شِرْوَانَ أم أينَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وأخو الحَضْرِ[٢] إذ بَناهُ وإذ دَجْلَةُ تُجْبَى إليه والخَابُورُ[٣]
لم يَهَبْهُ[٤] رَيْبُ المنونِ[٥] فَزَا ل الملكُ عنه فَبابُهُ مَهْجُورُ
وتَفكَّرْ[٦] رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرَفَ[٧] يوماً ولِلْهُدَى[٨] تَفْكِيرُ[٩]
سَرَّهُ جَمْعُهُ وكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً[١٠] والسَّدِيرُ[١١]
فارْعَوى[١٢] مُبصِراً[١٣] فقال وما غِبْـ ـطَةُ[١٤] حَيٍّ إلى المَماتِ يَصِيرُ
ثم بعدَ الفَلاحِ[١٥] والمُلْكِ والأمَّـ ـةِ[١٦] وارَتْهُمْ هناك القُبُورُ
ثم أمْسَوْا كأنَّهم وَرَقٌ جَفَّ فألْوَتْ به[١٧] الصَّبَا[١٨] والدَّبُورُ[١٩]

---

(١) الأبيات من قصيدة لِعَديِّ بن زيدٍ العِبادي. (انظر ديوان عدي بن زيد ص:٨٤).

(٢) الحَضْرُ: قَصْرٌ كان بحيال تكريت بين دجلةَ والفرات.

وأخو الحَضْرِ: أي: صاحبه، وهو الضَّيْزَنُ بن معاوية بن العبيد من قضاعة. (انظر الإغاني ٢:١٤٠).

(٣) الخابور: اسمٌ لنهرٍ كبيرٍ بين رأس عينٍ والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمُهُ فنسبت إليه.

(٤) هابه: خافه.

(٥) ريب المنون: حوادث الدهر.

(٦) تَفَكَّرَ: تأمَّل وأعْمَلَ خاطِرَهُ. وهو مَبْنِيٌّ على الفَتْحِ في الأصْلِ، وقد سَكَّنَهُ للضَّرورة.

(٧) أشرفَ: عَلاَ وارْتَفَع.

(٨) الهُدَى: الرَّشاد.

(٩) التفكير: الاسْمُ من التَّفكُّر، وهو بمعنى التَّأمُّلِ وإعمال الخاطر.

(١٠) المُعْرِض: المُتَّسِعُ، يقال: أعْرَضَ الثوبُ، أي: اتَّسع وعَرُض.

(١١) السَّدِير: قَصرٌ قريبٌ من الخورنق.

(١٢) ارْعَوى: كف ورَجَع ونزع.

(١٣) المُبْصِرُ: المهتدي المُتيقِّن المُتبيِّنُ.

(١٤) الغِبْطَةُ: حُسْن الحالِ والنِّعْمةُ والمَسَرَّة.

(١٥) الفَلاح: الفَوْزُ والنَّجاة والبقاء في النعيم والخير.

(١٦) الإمَّة: النَّعيم والمُلْكُ، وقيل: أراد إمامة المُلْكِ ونَعِيمَهُ.

(١٧) ألْوَتْ به: ذهبت به.

(١٨) الصَّبا: ريحٌ تهبُّ من ناحيةِ المَشْرِق إذا استَوى الليلُ والنهارُ.

(١٩) الدَّبور: الريحُ التي تقابل الصَّبَا، وهي تَهُبُّ من نَحْوِ المَغْرِبِ.

فبكَى هشامٌ ونَشَجَ[١]. ثم قامَ كـالمُغْضَبِ، وقـامَ مَـنْ في مَجْلِسـهِ، فقـال لي حاجِبُـهُ: يـاهذا ماأعْيَاكَ[٢]! لقد كَسبْتَ[٣] نَفْسَكَ شَرًّا، دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِتُحَدِّثَهُ وتَسُرَّهُ وتُلهيَهُ، وقد علمـتَ أنه انفردَ بهذا المكانِ لئلاَ يَرَى ولا يَسْمَعَ شيئاً يَكْرَهُهُ ويُؤْذيهِ للعلَّةِ التي هو فيها، فما عَدَوْتَ أن نعيتَ[٤] إليه نَفْسَهُ وكدَّرْتَ عليه عَيْشَهُ! قال: فأقمتُ أياماً أتوقَّعُ ما أكره، وجعل الشَّامِيُّونَ يقولونَ: أينَ هذا العراقيُّ الأحمقُ الذي أغْضَبَ أميرَ المؤمنينَ؟ وجعلَ هشامٌ يقولُ: يامسلمةُ، إنك لا تزالُ تأتِيني بما أكْرَهُ. ثم لَقِيَني الحاجبُ، فقالَ: إنَّ أميرَ المؤمنين قد ذَكَـرَكَ، فقـال: لله درَّ ابـنُ الأهتمِ، وأمرَ لك بصلةٍ، وأذن لك في الانْصرافِ».

٤٣ ـ مَوْعِظةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَرِيِّ لهشامِ بنِ عبدِ الملكِ

أنساب الأشراف ١٢:٢٩١

قالَ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ لخالدِ بنِ صَفْوَانَ: عِظْني وأوْجِزْ .فقال:

«أنتَ ياأميرَ المؤمنينَ فَوْقَ الخَلْقِ، وليسَ فَوْقَكَ إلاَّ اللهُ، وأنتَ صَائِرٌ[٥] إلى اللهِ».

---

(١) نشج: بكى مثل بكاءِ الصَّبيِّ إذا رَدَّدَ صَوْته في صَدْرِهِ و لم يُخْرِجْهُ.

(٢) ما أعياك: ما أعْجَزَك، يقال: عَيَّ بالأمرِ وعَيِيَ به، أي: عَجَزَ عنه و لم يُطقْ إحكامه، أو لم يَهْتَدِ لِوَجْهِه.

(٣) كَسِبَ نفسَهُ شراً: جَرَّ عليها شراً.

(٤) نعَى الميت: أذَاعَ مَوْتَهُ وأخبَرَ به.

(٥) صائرٌ: راجعٌ.

(٤) مَوَاعِظُ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

١ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢: ١٤٠

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَعِظُ أصْحَابَهُ:

«إنَّ الدنيا دار عمل، مَنْ صَحِبها بالنَّقْصِ لها والزهادة فيها سعد بها ونَفَعتْهُ صُحبَتُها، ومَنْ صَحِبها على الرغبة فيها والمحبة لها شَقِيَ بها، وأجْحَفَ بحظِّه[1] مِنَ الله عز وجل. ثم أسلمته إلى مالا صبرله عليه، ولا طاقة له به من عذاب الله، فأمرها صغيرٌ، ومتاعها قليلٌ، والفناء عليها مكتوبٌ، والله تعالى ولي مِيرَاثِها، وأهلها مُحَوَّلُونَ عنها إلى منازل لاتَبلَى، ولا يُغَيِّرُها طولُ الزمن، لا العمر فيها يَفْنَى فيموتون، ولا وإن طال الثواء منها يَخْرُجُونَ. فاحذروا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك الموطن، وأكثروا ذكر ذلك المنقلب. واقْطَعْ يابن آدم من الدنيا أكثَر همِّك، أو لتقطعنَّ حبالها بك فينقطعَ ذكرُ ما خُلِقْتَ له من نَفْسِكَ ويزيغَ عن الحقِّ قَلْبُك، وتميلَ إلى الدنيا فَتُرْدِيكَ وتلك منازلُ سوءٍ بيِّنٌ ضَرُّها، مُنْقَطِعٌ نَفْعُها، مُفْضِيَةٌ والله بأهلها إلى ندامةٍ طويلةٍ وعذابٍ شديدٍ. فلا تكونن يابن آدم مُغْتَراً، ولا تأمنْ مالم يأتك الأمان منه، فإنَّ الهولَ الأعظمَ ومُفْظِعاتِ الأمور أمامك لم تخلص منها حتى الآن. ولابد من ذلك المسلكِ وحضورِ تلك الأمور، إمَّا يُعَافيكَ من شَرِّها ويُنْجيكَ من أهوالها، وإما الهلكة. وهي منازلُ شديدةٌ مَخُوفةٌ مَحْذُورةٌ مُفْزِعَةٌ للقلوب، فلذلك فأَعْدِدْ[2]، ومِنْ شَرِّها فاهرب، ولا يُلْهِيَنَّكَ المتاعُ القليلُ الفاني، ولاَ تَرَبَّصْ بنفسك؛ فهي سريعة الانْتِقاص من عمرك. فَبادِرْ أجَلك، ولا تَقُلْ غداً غداً، فإنك لاتدري متى إلى الله تصير! واعلَموا أن الناس أصبحوا جادِّين في زينةِ الدنيا يَضْرِبُونَ في كل غَمْرةٍ[3]. وكلٌّ مُعْجَبٌ بما هو فيه، راضٍ به حريصٌ على أن يزداد منه. فما لم يكن من ذلك

---

(١) أجْحَفَ بحَظِّهِ: أخلَّ به، أو أذْهَبَهُ وأضاعَهُ.

(٢) أعَدَّه للأمْرِ: هَيَّأه له، ويقال: أعدَّ للأمر عُدَّتَهُ، أي أخَذَ له أُهْبَتَهُ.

(٣) غمرة كل شيءٍ: مُنْهَمَكُهُ وشِدَّتُهُ، ويقال: هو يضرب في غمرة اللهو، أي: يَنْهَمِك في اللهو.

لله عز وجل وفي طاعة الله، فقد خسر أهله، وضاع سعيه. وما كان من ذلك في الله وفي طاعة الله، فقد أصابَ أهلُهُ به وَجْهَ أمرهم، وَوُفِّقُوا فيهِ بحَظِّهم، عندهم كتابُ الله، وعهده، وذكرُ مامَضَى وذكرُ ما بقي، والخُبْرُ[١] عمن وَراءهم. كذلك أمرُ اللهِ اليومَ وقبلَ ذلك أمْرُهُ فيمن مضى، لأن حُجَّةَ الله بالغة، والعذر بارزٌ، وكلٌّ موافٍ الله ولِمَا عَمِلَ. ثم يكون القضاء من الله في عبادِهِ على أحدِ أمْرَيْنِ، فَمَقْضِيٌّ له رحمتُهُ وثوابُه! فيالها نعمةً وكرامةً، ومقضيٌّ له سُخْطُهُ وعُقُوبَتُهُ، فيالها حَسرةً وندامةً! ولكن حقَّ على من جاءه البيان من الله بأن هذا أمره وهو واقعٌ أن يَصْغُرَ في عينهِ ماهو عندَ اللهِ صَغيرٌ، وأنْ يَعْظُمَ في نفسه ماهو عند الله عظيم. أو ليس ماذَكَرَ اللهُ من الكراهةِ لأهلها فيما بعدَ الموتِ والهوانِ ما يُطِيب نفسَ امرئ عن عِيشَةِ دُنْياه[٢]، فإنها قد آذنت[٣] بزوال، لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجائعها، يَبْلَى جديدُها، ويَسْقَمُ صحيحُها، ويَفْتَقِرُ غَنِيُّها، ميَّالةٌ بأهلها، لَعَّابةٌ بهم على كل حال، ففيها عِبْرَةٌ لمن اعْتَبَر، وبيانٌ فعلام تنتظر؟ يابن آدم، أنت اليوم في دارٍ هي لاَفِظَتُكَ، وكأن قد بدا لك أمرها، فإلى انْصرامٍ[٤] ما يكون سريعاً، ثم يُفْضي بأهلها إلى أشَدِّ الأمور وأعظَمِها خطراً. فاتق الله يابن آدم، وليكنْ سعيُك في دنياك لآخرتكَ، فإنه ليس لك من دنياك شيءٌ إلا ماصَدَّرْتَ[٥] أمامك، فلا تَدَّخِرَنَّ عن نفسك مالَك، ولا تُتْبِعْ نَفْسَك ماقد عَلِمْتَ أنك تاركُهُ خَلْفَك، ولكن تَزَوَّدْ لبُعْدِ الشُّقَّة[٦]، وأعْدِدِ العُدَّةَ أيامَ حياتك وطولَ مقامكَ، قبل أن ينزل بك من قضَاء الله ما هو نازلٌ، فيحول دون الذي تريد. فإذا أنت يابن آدم قد ندمت حيث لا تغني الندامة عنك، ارْفُضِ الدنيا ولتَسْخَ بها نفسك[٧]، ودع منها الفضل، فإنك إذا فعلت ذلك أصبتَ أرْبَحَ الأثمانِ من نعيمٍ لا يزول،

---

(١) الخُبْرُ: العِلْمُ.

(٢) ما يُطيبُ نَفْسَ امرئ عن عِيشَةِ دُنْياه: أي: ما يجعلها تتنازل عن عيشة الدنيا وتَتْرُكُها راضيةً غير كارهة ولا غاضبة.

(٣) آذنت: أعلمت وأخبرت.

(٤) الانصرام: الانقطاع.

(٥) صدَّرت: قدَّمت.

(٦) الشُّقَّة: المسافة البعيدة والسفر الطويل.

(٧) تَسْخَى بها: تتركها.

ونجوتَ من عذابٍ شديدٍ ليس لأهله راحةٌ ولا فَتْرةٌ. فاكدَح لما خلقتَ له قبل أن تُفَرِّقَ بك الأمور فيشق عليك اجتماعها. صَاحِبِ الدنيا بِجَسدِكَ، وفَارِقها بقلبك. ولينفعك ما قد رأيت مما قد سلف بين يَديكَ من العُمر، وحال بين أهل الدنيا وبين ماهم فيه، فإنه عن قليل فناؤه، ومَخُوفٌ وبالُهُ. وليزِدْكَ إعجابُ أهلها بها زهداً فيها وحَذَراً منها، فإنَّ الصالحين كذلك كانوا.

واعلمْ يابنَ آدمَ، أنك تطلبُ أمراً عظيماً لا يُقَصِّرُ فيه إلا المحرومُ الهالكُ، فلاَ تَرْكَبِ الغَرَرَ،(١) وأنت تَرَى سَبِيلَه؛ ولا تَدَعْ حَظَّكَ، وقد عُرِضَ عليك؛ وأنت مَسْؤول ومقولٌ لك، فأخْلِصْ عَملَك، وإذا أصبحتَ فانتظر الموتَ، وإذا أمسيتَ فَكُنْ على ذلك، ولاَحول ولا قوة إلا با لله. وإنَّ أنْجَى الناسِ مَنْ عَمِل بما أنْزَلَ ا لله في الرَّخاء والبَلاء، وأمرَ العبادَ بطاعةِ ا لله وطاعةِ رسولِه، فإنكم أصبحتم في دارٍ مذمومةٍ خُلِقَتْ فتنةً، وضُرِبَ لأهلِها أجلٌ، إذا انْتَهَوْا إليه يَبِيدُ. أخرجَ نباتَها، وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ، ثمَّ أخبرهم بالذي هم إليه صائرون، وأمرَ عبادَهُ فيما أخْرَجَ لهم من ذلك بطاعَتِهِ، وبَيَّنَ لهم سَبِيلها - يعني سبيلَ الطّاعة - ووعدَهم عليها الجنَّةَ، وهم في قَبْضَتِه ليس منهم بمعجزٍ له، وليس شيءٌ من أعمالِهم يَخْفَى عليه. سَعيهُم فيها شَتّى بين عاصٍ ومطيعٍ لهُ، ولكلٍّ جزاءٌ من ا لله بما عَمِل، ونصيبٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ. ولم أسمع ا لله تعالى فيما عَهِد إلى عبادِه، وأنزل عليهم في كتابِهِ رَغَّبَ في الدنيا أحداً مِنْ خَلْقِه، ولا رَضِيَ له بالطمأنينةِ فيها، ولا الركون إليها، بل صَرَّفَ الآياتِ وضَرَبَ الأمثالَ بالغَيْبِ لها، والنَّهْي عنها، ورَغَّبَ في غيرها. وقد بَيَّن لعبادِهِ أنَّ الأمرَ الذي خُلِقَتْ له الدنيا وأهلُها عظيمُ الشانِ، هائلُ المَطْلعِ، نقلهم عنه إلى دارٍ لا يُشْبِهُ ثوابُهم ثواباً، ولا عقابُهم عقاباً، لكنها دَارُ خلودٍ يَدينُ ا لله تعالى فيها العبادَ بأعمالهم، ثم يُنْزِلُهم مَنازِلَهم، لا يتغيَّرُ فيها بؤسٌ عن أهلها ولا نعيم. فرحم ا لله عبداً طلبَ الحَلالَ جَهْدَهَ، حتى إذا دارَ في يده وَجَّهَهُ وَجْهَهُ الذي هو وَجْهَهُ.

---

(١) الغَرَرَ: الخَطَر.

ويحكَ يا بنَ آدمَ! ما يَضُرُّك الذي أصَابكَ من شدائدِ الدنيا إذا خَلُصَ لك خيرُ الآخرة، ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] . هذا فَضَحَ القوم. ألهاكمُ التكاثرُ عن الجنّةِ عندَ دعوةِ الله تعالى وكرامتِه. وا للهِ لقد صَحِبْنَا أقواماً كانوا يقولون: ليس لنا في الدنيا حاجةٌ، ليس لَها خُلِقْنَا، فطلبوا الجنّةَ بغُدُوِّهم ورَواحهم وسَهَرِهم. نعم، وا لله، حتى أهْرَاقوا فيها دمَاءَهم، ورَجَوْا فأفْلَحُوا ونَجَوا. هنيئاً لهم لا يَطْوي أحدُهم ثوباً، ولا يَفْتَرِشُهُ، ولاتلقاهُ إلاّ صائماً ذليلاً مُتبَائِساً(٢) خائفاً، حتى إذا دخَلَ إلى أهله إنْ قُرِّبَ إليه شيءٌ أكَلَهُ وإلاّ سَكَتَ لايسألهم عن شيءٍ ماهذا وماهذا، ثمَّ قال:(٣)

ليسَ من ماتَ فاسترَاحَ بمَيِّتٍ ... إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياء

٢ ـ مَوْعِظةٌ للحَسنِ البَصْرِيِّ

البيان والتبيين ٣: ٩٠

كان الحسنُ البَصْرِيُّ إذا قرأ قَوْلَهُ تعالَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١] قالَ:

«عم ألهاكم؟ عن دارِ الخلودِ وجنةٍ لا تَبيدُ. هذا، وا لله، فَضَحَ القَوْمَ، وهَتَكَ السِّتْرَ(٤)، وأبْدَى العَوارَ(٥)، تُنْفِقُ مثلَ دينك في شَهَواتِك سَرفاً، وتَمْنَعُ في حق الله دِرْهَماً! ستعلم يا لُكَعُ(٦). الناسُ ثلاثةٌ: مُؤْمِنٌ وكافرٌ ومنافقٌ. فأما المؤمنُ فقد أجمه الخَوْفُ وقَوَّمَهُ ذكرُ العَرْضِ. وأما الكافرُ فقد قَمَعَهُ السَّيْفُ وشرَّدَهُ الخَوْفُ، فأذعنَ بالجزْيةِ، وسَمَحَ بالضَّريبة، وأما المنافقُ ففي الحُجُراتِ والطُّرقاتِ، يُسِرُّونَ غيرَ ما يُعْلِنون، ويُضْمِرُون غير ما يُظهِرُون. فاعتبِرُوا إنكارَهم رَبَّهُم بأعمالهم الخَبيثةِ. ويلَكَ، قَتَلْتَ وَلِيَّهُ ثم تَتمنّى عليه جَنَّتَهُ»!؟

---

(١) التكاثر: التفاخر بكثرة العدد والمال.

(٢) المتبائس: الذي يُظْهِر البؤس، وهو الفقر والحاجة.

(٣) البيت من قصيدة لعدي بن الرِّعلاء الغساني. (الأصمعيات ص:١٥٢، والحيوان ٦:٥٠٧، ومعجم الشعراء ص:٧٧، وسمط اللآلي ١:٨، ٦٠٣، وشرح شواهد المغني ١:٤٠٥، وخزانة الأدب ٤:١٨٧).

(٤) السِّتْرُ: ماسُتِرَ به، أي: الغِطَاءُ والوِقَاءُ.

(٥) العَوارُ: العَيْبُ.

(٦) اللكع: الأحمق.

٣ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

البيان والتبيين ٣: ٩٠

كانَ الحَسَنُ البَصْريُّ يَقُولُ:

«رحمَ ا لله رجلاً خلا بكتابِ ا لله فَعَرضَ عليه نَفْسَهُ، فإنْ وافَقَهُ حَمِدَ ربَّه، وسأله الزيادةَ من فَضْلِه، وإنْ خالفه أعْتَبَ[1] وأناب، وراجَعَ من قَرِيبٍ. رحمَ ا لله رجلاً وَعَظَ أخاه وأهله فقال: ياأهلي، صلاتَكم صلاتكم، زكاتَكم زكاتكم، جيرانَكم جيرانكم، إخوانَكم إخوانكم، مساكينَكم مساكينكم، لعل ا لله يرحمكم! فإن ا لله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]. يا ابن آدم، كيف تكون مسلماً ولم يَسْلَمْ منك جَارُك! وكيف تكون مؤمناً ولم يأمَنْكَ الناسُ»!؟

٤ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

البيان والتبيين ٣: ٩٠
وحلية الأولياء ٢: ١٤٣

كانَ الحَسَنُ البَصْريُّ يقول:

«لا يستحقُّ أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتى لايَعِيبَ الناسَ بعيبٍ هو فيه، ولا يأمرُ بإصْلاحِ عُيُوبِهم حتى يَبْدأَ بإصْلاحِ ذلك من نفسِه، فإنَّه إذا فعلَ ذلك لم يُصْلِحْ عَيباً إلاّ وجدَ في نفسه عَيباً آخر ينبغي له أنْ يُصْلِحَهُ، فإذا فعل ذلك شُغِلَ بخاصةِ نفسه عن عَيْبِ غيرِه. وإنك ناظرٌ إلى عَمَلِكَ يُوزَنُ خَيْره وشرُّه، فلا تَحْقِرَنَّ شيئاً[2] من الخير، وإن صَغُر، فإنك إذا رأيته سَرَّكَ مَكانُهُ، ولا تحقرنَّ شيئاً من الشرِّ، وإن صَغُرَ، فإنَّك إذا رأيتَهُ ساءَكَ مكانُهُ».

---

(١) أعْتَبَ الرَّجُلُ صاحِبَهُ: أعطاه العُتْبَى، وهي الرضا. أي: ترك ماكان يَجِدُ عليه من أجله، ورجع إلى ما يَسُرُّه.
(٢) حَقَرَ الشَّيءَ واحْتَقَرَهُ واسْتَحْقَرَهُ: اسْتَصْغَرَهُ ورآه حقيراً، أي: صغيراً.

٥ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

العقد ٢:٣٧٧

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«إن ا لله خَلقَ الخَلقَ للابتلاء[١]، لم يُطيعوه بإكراهٍ، ولم يَعْصُوهُ بغَلبةٍ، لم يُهْمِلْهُمْ من المُلْكِ، وهو القادرُ على ماأقدَرَهم عليه، والمالكُ لما مَلَّكَهُمْ إياه. فإنْ يأتمر العِبادُ بطاعةِ ا للهِ لم يكنِ ا للهُ مُثَبِّطاً[٢] لهم، بل يَزيدهم هُدىً إلى هُداهم، وتقوى إلى تَقْواهم. وإنْ يأتمروا بمعْصيةِ ا للهِ، كانَ ا لله قادراً على صَرْفِهم إنْ شَاء، وإنْ خَلّى[٣] بينهم وبين المَعْصية، فمن بَعْدِ إعذارٍ[٤] وإنذارٍ[٥]».

٦ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء ٢:١٥١

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«إنَّ لله عزَّ وجَلَّ عباداً كمن رأى أهلَ الجنةِ في الجنة مُخلَّدِينَ، وكمنْ رأى أهلَ النَّارِ في النَّارِ مُخلَّدينَ، قلوبُهم مَحْزُونةٌ، وشُرورُهم مأمُونةٌ، حَوائجُهمْ خَفِيفَةٌ، وأنفُسُهمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أياماً قِصاراً تُعْقِبُ راحةً طويلةً، أما الليل فَمُصَافةٌ أقدامهم[٦]، تسيلُ دمُوعُهم على خُدُودِهم، يَجأرُونَ[٧] إلى رَبِّهم رَبَّنا رَبَّنا، وأمَّا النهار فَحُلماءُ علماءُ بَررةٌ أتقياءُ، كأنَّهم القِدَاح[٨]، يَنْظُرُ إليهم الناظرُ فيحسِبُهم مَرْضَى، وما بالقَوْمِ من مرضٍ، أو خُولِطُوا،[٩] ولقد خَالَطَ[١٠] القومَ مِنْ ذكرِ الآخرةِ أمرٌ عَظِيمٌ».

---

(١) الابتلاء: الاختبار والامتحان.

(٢) ثَبَّطَهُ عن الأمر: شَغَلَهُ عنه وردَّهُ عن فِعْلِهِ.

(٣) خَلّى بينهم وبينَ المعصية: حال بينَهم وبينَها، ومنعهم من إتيانِها وارتكابها.

(٤) الإعذار: إبْداءُ العُذْر.

(٥) الإنْذَارُ: الإبْلاَغُ والإعلامُ، والتَّخْويفُ والتَّحْذِيرُ.

(٦) مصافة أقدامُهم: أي: أنهم يَصْطَفُّون صفوفاً منتظمةً لإقامة الصلاة.

(٧) يجأرون إلى ربهم: يَتَضرَّعون إليه مُسْتَغِيثِينَ به.

(٨) كأنهم القداح: كأنهم السِّهامُ في النُّحول والضُّمُور.

(٩) خُولِطَ فلانٌ في عقله: اخْتَلَّ عقلُهُ وفَسَدَ.

(١٠) خَالَطَهُ الهمُّ: داخَلَهُ وخامَرَهُ.

٧ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

العقد٣:٢١٢

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«ابنَ آدمَ، أنتَ أسيرٌ في الدنيا، رَضِيتَ من لَذّتِها بما يَنْقَضي، ومن نَعِيمها بما يَمْضي، ومن مُلْكِها بما يَنْفَدُ. فلا تَجْمعِ الأوزارَ[١] لِنَفْسِكَ ولأَهْلِكَ الأمْوالَ، فإذا مِتَّ حَمَلْتَ الأوزارَ إلى قَبْرِكَ، وتركتَ أموالَكَ لأهْلِكَ»!

٨ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

البيان والتبيين ٣:٩٠
وحلية الأولياء ٢:١٤٣

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«رحمَ ا للهُ عبداً كَسَبَ طَيِّباً، وأنْفَقَ قَصْداً،[٢] وقَدَّمَ فَضْلاً[٣]. وَجِّهُوا هذه الفضولَ حيث وَجَّهها ا لله، وضَعُوها حيث أمر ا للهُ، فإن مَنْ كان قَبْلَكم كانوا يأخذون من الدنيا بَلاَغَهم[٤]، ويُؤْثرونَ[٥] بالفَضْلِ. ألا إنَّ هذا الموتَ قد أضرَّ بالدُّنيا فَفَضَحها[٦]، فلا، وا لله، ماوجدَ ذو لُبٍّ فَرَحاً. فإياكم وهذه السُّبُلَ المتفرِّقَةَ التي جماعُها الضَّلالةُ، وميعادُها النارُ! أدركتُ من صَدْرِ هذه الأمة قوماً كانوا إذا جَنَّهمُ[٧] الليلُ فقيامٌ على أطرافهم، يَفْتَرِشُونَ خُدُودَهم، تجري دُموعُهم على خدُودهم، يُناجُونَ مولاهم في فِكاكِ رِقابهم،[٨] إذا عَمِلُوا الحسنةَ سَرَّتهم، وسألوا ا لله أن يتقبَّلها منهم، وإذا عَمِلُوا سيئةً ساءَتْهم، وسألوا ا لله أنْ يغفر لهم. يا ابنَ آدم، إنْ كان لا

(١) الأوْزارُ: جمع وِزْرٍ، وهو الذَّنْبُ.

(٢) القَصْدُ في الإنْفاق: الاعْتِدالُ والتَّوَسُّط، وهو ما بين الإسْرافِ والتقتير.

(٣) الفَضْل: مازاد عن نَفَقةِ الإنسان وحاجته، وهو عَفْوُ المال.

(٤) البَلاَغُ والبُلْغَةُ والتَّبَلُّغُ: الكِفاية، وما يُتَبَلَّغُ به من العَيْشِ، أي: يُكْتَفى به.

(٥) آثرهُ بالشيءِ: فَضَّلَهُ على نَفْسِه، وقَدَّمَهُ له وخَصَّهُ به.

(٦) فَضَحَ الشيءَ: كشفَ عن مساوئه.

(٧) جَنَّهُ الليلُ: سَتَرَهُ.

(٨) فكاك الرقبة: تخليصُها وإطلاقُها وإنقاذُها من النار.

يُغْنِيكَ[١] ما يكفيكَ[٢] فليس هاهنا شيءٌ يُغْنيك، وإنْ كان يُغْنيكَ ما يَكْفيكَ فالقليلُ من الدنيا يَكْفيكَ. يا ابن آدم، لاتَعْمَلْ شيئاً من الحقِّ رياءً[٣] ولاتتركه حياءً».

٩ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

البيان والتبيين٣:٩١

كانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ:

«يا ابن آدَمَ، لا غِنَى بكَ عن نَصيبكَ من الدُّنيا، وأنتَ إلى نَصيبكَ من الآخرةِ أفْقَر[٤]. مُؤْمنٌ مُهْتَمٌّ[٥] وعِلْجٌ[٦] أغْتَمُ[٧]، وأعْرابيٌّ لافِقْهَ لـه، ومُنافقٌ[٨] مُكَذِّبٌ، ودُنْياويٌّ[٩] مُتْرَفٌ[١٠]! نَعَقَ[١١] بهم ناعِقٌ فاتَّبَعُوهُ، فَراشُ نارٍ[١٢]، وذِبَّانُ طَمَعٍ[١٣]. والذي نَفْسُ الحَسَنِ بيدهِ ما أصْبَحَ في هذهِ القَرْيةِ مُؤْمنٌ إلاَّ أصْبَحَ مَهْمُوماً[١٤] حَزِيناً[١٥]، وليسَ لمؤمنٍ راحةٌ دُونَ لِقاءِ اللهِ. النَّاسُ مادَامُوا في عَافيةٍ مَسْتُورُونَ، فإذا نَزَلَ بهم

(١) أغناه: جعله غنيّاً.

(٢) كفاهُ: سَدَّ حاجته.

(٣) الرياء: النفاق، وهو أن يُظْهِرَ الرجلُ غير مايُبْطِنُ.

(٤) أفْقَرُ: أحْوَجُ.

(٥) المُهْتَمُّ: القَلِقُ المحزُون.

(٦) العِلْج: الرجل الشَّديدُ الغليظ، وقيل: هو كلُّ ذي لحيةٍ. والعلج: الرجلُ من كُفّارِ العَجَم.

(٧) الأغْتَمُ: الأعْجَمُ لايُفْصِحُ شيئاً. وفيه غُتْمَةٌ: وهي العُجْمَةُ، من الغَتَمِ، وهو الأخْذُ بالنَّفَسِ. (أساس البلاغة: غتم).

(٨) المنافق: المرائي الذي يُظْهِرُ خِلافَ مايُبْطِنُ.

(٩) النِّسْبَةُ إلى الدنيا دُنْياويٌّ، ويقال: دُنَيْويٌّ ودُنْيِيٌّ.

(١٠) المُتْرَف: الذي قد أبْطَرَتْهُ النعمة وسَعَةُ العَيْش، وقيل: هو المُتَنَعِّمُ المُتوسِّعُ في مَلاذِّ الدنيا وشَهَواتها.

(١١) نعق: صاح.

(١٢) في المثل: «أطْيَشُ من فَراشةٍ». لأنها تُلقي نَفْسَها في النّار. (مجمع الأمثال ٢:٢٩٩، واللسان: فرش).

(١٣) في المثل: «أطْيَشُ من ذبابٍ». (مجمع الأمثال ٢:٣٠٠) يصفهم بالحِرْصِ والجَشَعِ، لأنَّ الذُّباب يَقَعُ في كل شيءٍ، فيموتُ من طَمَعِهِ. (انظر اللسان: ذبب).

(١٤) المَهْمُومُ: المَغْمُومُ المَكْرُوبُ.

(١٥) في الأصل: «رَزيناً». وقد أكثرَ الحسنُ البصريُّ في مَواعِظِهِ من وَصْفِ المؤمنِ بالحُزْن.

بَلاءً[١] صَارُوا إلى حَقائِقهم، فَصَارَ المؤمنُ إلى إيمانِهِ، والمُنَافقُ إلى نِفاقِهِ. أيْ قَـوْم، إنَّ نِعْمـةَ اللهِ عليكم أفْضَلُ من أعْمالِكم، فَسارِعُوا إلى ربِّكم، فإنَّه ليـس لمؤمـنٍ راحـةٌ دونَ الجَنَّـة، ولايزالُ العَبْدُ بِخَيْرٍ ماكان له واعظٌ من نَفْسِهِ، وكانتِ المحاسَبةُ من هَمِّهِ[٢]» .

١٠ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

البيان والتبيين٣:٩١

كانَ الحسنُ البَصْرِيُّ يقُولُ:

«لا أذهبُ إلى مَنْ يُواري[٣] عَنِّي غِناهُ، ويُبْدي لي فَقْرَهُ، ويغلقُ دوني بابَهُ، ويَمْنَعُني ماعنده، وأدعُ مَنْ يفتحُ لي بابَهُ، ويُبْدي لي غِناهُ، ويدعوني إلى ما عنده».

١١ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

البيان والتبيين٣:٩١
والكامل للمبرد ١:٩٨
والعقد ٣:١٩٩
وزهر الآداب١:٥٧٨
وبهجة المجالس ٣:٢٣٥

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ في يَوْمِ فِطْرٍ، وقد رأى النَّاسَ وَهيْئاتِهم:

«إنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى جَعَلَ رمضانَ مِضْمـاراً[٤]لخَلْقِهِ، يستَبِقُون فيـه بطاعتِهِ إلى مَرْضَاتِهِ، فسبَقَ قومٌ فَفازُوا، وتَخَلَّفَ آخرونُ فخابُوا. فالعَجَبُ من الضَّاحِكِ اللاَّعِبِ في اليومِ الذي يَفُـوزُ

---

(١) البَلاَءُ: الاخْتِبارُ والامْتِحَانُ.

(٢) من هَمِّه: مما يَشْغَلُهُ ويَعْنِيهِ.

(٣) يُواري: يُخْفي.

(٤) المِضْمارُ: المَوْضِعُ الذي تُضَمَّرُ فيه الخَيْلُ. والمِضْمَارُ: المُدَّةُ التي تُضَمَّرُ فيها الخَيْلُ للسِّباقِ أو للرَّكْضِ إلى العَدُوِّ. وتَضْمِيرها أن تُعَلَّفَ حتى تَسْمَنَ ثم تُرَدُّ إلى القُوت، وذلك في أربعين يوماً، وهذه المدة تُسَمَّى المِضْمَارَ. ويقال: إن تَضْمِيرها أن تُشَدَّ عليها سُرُوجُها، وتُحلَّلَ بالأَجِلَّةِ، حتى تَعْرَق تحتها، فيذهَبُ رَهَلُها، ويَشْتَدُّ لَحْمُهـا، ويُحْمَلُ عليهـا غلمـانٌ خِفـافٌ يُحْرُونهـا ولا يَعْنُفُون بها. فإذا فُعِل ذلك بها أُمِنَ عليها البُهْرُ الشديدُ عِنْدَ حُضْرِها أي عَدْوِها، و لم يَقْطَعْها الشَّدُّ. والمعنى أنَّ شـهرَ رمَضـانَ شهرُ العملِ الصالحِ للاسْتِباق إلى رضوانِ اللهِ كالفَرسِ يُضمَّرُ قبلَ أنْ يُسابَقَ عليه.

فيه المُحْسِنُونَ، ويَخْسرُ فيه المُبْطِلُونَ. أمَا وا للهِ لو كُشِفَ الغِطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانِه، ومُسِيءٌ بإساءَتِهِ عن ترْجِيلِ[١] شَعْرٍ أو تجديدِ ثَوْبٍ» .

١٢ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

أمالي المرتضى ١:١٥٨

كان الحسنُ البَصْرِيُّ يقولُ:

«مسكينٌ ابنُ آدمَ، مَكْتُومُ[٢] الأجلِ، مَكْنُونُ[٣] العِلل، أسيرُ جُوعٍ، صريعُ شِبَعٍ. إنَّ مَنْ تُؤلِمهُ البَقَّةُ، وتَقْتُلهُ الشَّرْقَةُ[٤]، لبادِي الضَّعف، فريسةُ الحَتْفِ».

١٣ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٨

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«أرَى رجالاً ولا أرى عُقُولاً، أسْمَعُ أصْواتاً ولاأرَى أنيساً[٥]، أخْصَبُ ألْسِنةً[٦]، وأجدبُ قلوباً[٧]»!

---

(١) ترجيل الشَّعْرِ: تَسْرِيحُهُ.

(٢) مَكْتُومُ الأَجَلِ: لا يَدْرِي متى يُدْرِكه الموت.

(٣) مَكْنُونُ العِلَلِ: لايَعْلَمُ متى تُصيبهُ الأدواءُ، وتنزل به الأمراض.

(٤) الشَّرْقة: الغُصَّةُ.

(٥) أنيس: أي أحد.

(٦) أخْصَبُ ألْسِنةً: المعنى أنهم يَقُولُونَ بأفْوَاهِهم أنهم من أهلِ الدِّين والصَّلاح والفَضْلِ، ويكثرون من الحديث عن الورع والتَّقْوَى وخشية الله، وهم أبعدُ الناس من ذلك، لأنهم يَزْعُمونَهُ، ويَدَّعُونَهُ كَذِباً. وأخصب: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم أخْصَبُ. وَالسِّنَة: منصوب على التمييز.

(٧) أجْدَبُ قلوباً: يَصِفُهم برِقَّةِ الدِّين، وضعفِ العقيدةِ، وقِلَّةِ الإيمان، مَثَلُهُم في ذلكَ مَثَلُ الأرض المُجْدِبة القَاحلةِ.

وقال الزمخشري: «من المجاز: نَزَلْنا ببني فلانٍ فأجْدَبْناهم إذا لم يَجِدُوا عِنْدَهم قِرًى، وإن كانوا مُخْصِبين، وعن الحسنِ البصريِّ: أجْدَبُ قلوبٍ، وأخصَبُ ألسنةٍ». (أساس البلاغة: جدب، وانظر اللسان: جدب).

١٤ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

العقد٣:١٨٥

كانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ إذا وَعَظَ يقولُ:

«يا لها موعظةً لو صادفتْ من القلوب حياة! أسْمَع حَسِيساً[١] ولا أرَى أنيساً[٢]! ما لهم تفَاقدوا [٣] عقولَهم! فَرَاش[٤] نار وذباب[٥] طَمَع» .

١٥ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء٢:١٥٥

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«لقد أدركتُ أقواماً كانوا آمرَ الناسِ بالمَعْرُوفِ، وآخَذَهم به، وأنْهَىَ النَّاس عن مُنْكَرٍ، وأتْرَكَهُمْ له. ولقد بَقينَا في أقوامٍ آمرِ النَّاسِ بالمَعْرُوفِ وأبعدِهم منه، وأنْهَى الناسِ عن المُنكَرِ وأوْقَعِهم[٦] فيه، فكيفَ الحياةُ مع هؤلاء»!؟

---

(١) الحَسِيسُ: الصوتُ الذي تَسْمَعُهُ مما يَمُرُّ قريباً منك ولاتراه، وهو عامٌّ في الأشياء كلها.

(٢) أنيس: أحدٌ، يقال: مابالدَّارِ أنيسٌ، أي أحدٌ.

(٣) تَفَاقَدُوا عُقولَهم: يَدْعُو عليهم بذهاب عُقولهم وموتها، ومثل ذلك قوله: «أُغَيْلِمَةٌ حَيارَى تَفَاقدوا». قال ابن منظور: (يدعو عليهم بالموت، وأن يَفْقِدَ بعضُهم بعضاً). (اللسان: فقد).

(٤) يقال للخفيف الرأس: ماهو إلاّ فراشةٌ. يُشَبَّهُ بواحدة الفراش، وهو مَثَلٌ في الخِفَّةِ والحقارةِ.

(أساس البلاغة: فرش). وفي المثل: «أطْيَشُ من فراشةٍ» ، لأنها تُلْقي نَفْسَها في النار. (مجمع الأمثال ٢:٢٩٩، واللسان: فَرَشَ). يصفهم بالخِفَّةِ والطَّيْشِ لقلة عُقُولهم وضَعْفِ حُلُومِهم.

(٥) ذبابُ طمع: يَصِفُهم بالْحِرصِ والجَشَعِ، لأن الذُّباب يَقَعُ في كلِّ شيءٍ فيموتُ من طَمَعِه.

(٦) أوْقَعُهم فيه: أي أكثرهم اقْتِرَافاً له وإتْياناً وفِعْلاً.

١٦ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

البيان والتبيين٣: ٩١

قالَ الحَسنُ البَصْرِيُّ:

«إنَّ العلماءَ كانوا قد استَغْنَوْا بعلمِهم عن أهل الدنيا، وكانوا يَقْضُونَ[١] بعلمِهم على أهل الدنيا مالا يَقْضي أهلُ الدنيا بدنياهم فيها. وكان أهلُ الدنيا يَبْذُلونَ[٢] دنياهم[٣] لأهلِ العلمِ رغبةً في علمهم، فأصبحَ اليومَ أهلُ العلم يَبْذُلونَ علمَهُم لأهلِ الدنيا رغبةً في دنياهم. فَرَغِبَ[٤] أهلُ الدنيا بدنياهم عنهم، وزَهَدُوا في علمهم، لِمَا رأوا مِنْ سُوءِ مَوْضعهِ عِنْدَهم».

١٧ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

العقد٢: ٢٤٠

قالَ الحَسنُ البَصْرِيُّ:

«حَمَلَةُ القرآن ثلاثة نَفَرٍ: رجلٌ اتخذَهُ بِضَاعةً يَنْقُلُهُ من مِصْرٍ إلى مِصْرٍ يَطْلُبُ به ما عندَ الناس، ورجلٌ حَفِظَ حُروفَهُ، وضَيَّعَ حُدُودَهُ، واستدَرَّ به الوُلاةَ، واستطال به على أهلِ بلدهِ. وقد كَثُرَ هذا الضَّرْبُ في حَمَلةِ القرآن، لا كَثَّرهُم الله عزَّ وجلَّ! ورجُلٌ قرأَ القرآنَ، فَوَضَعَ دواءَهُ على داءِ قَلبِهِ، فَسهِرَ ليلتَهُ، وهَمَلَتْ عَيْناهُ، وتَسَرْبَلَ الخُشُوعَ، وارْتَدَى الوَقَارَ، واستَشْعَرَ الحُزنَ. ووالله لَهذا الضَّربُ من حَملةِ القرآنِ أقلُّ من الكِبْريتِ الأحْمرِ،[٥] بهم يَسْقي الله الغَيْثَ، ويُنزِّلُ النَّصْرَ، ويَدْفَعُ البَلاء».

---

(١) قَضَى: حكم وأمَرَ.

(٢) بذل الشيءَ: أعْطاهُ وجَادَ به.

(٣) الدنيا: كناية عن السلطان والمال.

(٤) رغب عن الشيء: تَرَكه متعمداً وزهد فيه ولم يُرِدْه.

(٥) الكبريت الأحمر: الياقوت الأحمر، وهو من الجواهر.

١٨ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء٢:١٥٣

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«لَّما بعثَ ا للهُ عَزَّ وَجَلَّ محمداً ﷺ ، يَعْرِفُونَ وَجْهَهُ، ويَعْرِفُونَ نَسَبَه قالَ: هذا نَبِيي، هذا خِياري[١]، خُذُوا من سنَّتِهِ وسَبيله[٢]. أما وا للهِ ما كانَ يُغْدى عليه بالجِفان[٣] ولا يُراحُ، ولا يُغْلِقُ دونَهُ الأبواب، ولا تَقُومُ دونَهُ الحَجَبة، كان يَجْلسُ بالأرض، ويُوضَعُ طعامُهُ بالأرض، ويَلْبَسُ الغَليظَ[٤]، ويركبُ الحِمارَ، ويُردِفُ[٥] خلْفَهُ، وكان يَلْعَقُ يده[٦]».

١٩ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء٢:١٥٣

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«إيَّاكم وما شَغَلَ[٧] من الدُّنيا، فإنَّ الدنيا كثيرةُ الأَشْغَالِ، لاَ يفْتَحُ رجلٌ على نَفْسِهِ بابَ شُغْلٍ إلاَّ أوْشَكَ ذلك البابُ أنْ يَفْتحَ عليه أبواب»!

---

(١)الخِيارُ: الاسم من الاختيار، أي: الاصْطِفاء.

(٢)سبيل الرسول الكريم: طَرِيقَتُه الراشدة المحمودة.

(٣) الجِفان: جمع جَفْنةٍ، وهي القصْعَةُ العظيمة الضَّخْمةُ.

(٤) الغليظ: الخشن.

(٥) أرْدَف الرَّجلَ: أرْكَبَهُ خَلْفَهُ على الدَّابة.

(٦) لَعِق الشيء: لَحَسَهُ.

(٧) شُغِلَ الرجل بالأمر: تَعلَّقَ به، أو تَفرَّغَ له وانْهَمَكَ فيه.

٢٠ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء٢: ١٥٤

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«إيهٍ[١]! ابن آدمَ مُعْجَبٌ بشبابِه، معجبٌ بجمالِه، مُعْجَبٌ بثيابِه. كأنَّ القَبْرَ قد وَارَى بَدَنك، وكأنَّكَ قد لاَقَيْتَ عَمَلَكَ. فداوِ قَلْبَكَ فإنَّ حاجَةَ اللهِ إلى عبادِهِ صلاحُ قُلوبِهم».

٢١ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء٢: ١٥٥

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«رَحِمَ اللهُ رجلاً لم يَغُرَّهُ[٢] كَثْرَةُ ما يَرَى من كَثْرَةِ النَّاس. ابنَ آدمَ إنَّكَ تموتُ وَحْدَكَ، وتَدْخلُ القَبْرَ وَحْدَكَ، وتُبْعَثُ وَحْدَكَ، وتُحَاسَبُ وَحْدَكَ. ابنَ آدمَ وأنتَ المَعْنِيُّ وإيَّاكَ يُرادُ»!

٢٢ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء٢: ١٣٤

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«نَصْحَكَ ولانَدْري لَعَلَّ اللهَ قد اطَّلَعَ على بعضِ أعمالِنا، فقالَ: لاأقبلُ منكم شيئاً. وَيْحَكَ يا ابنَ آدمَ! هل لك بمحاربة الله طاقةٌ؟ إنَّهُ مَنْ عَصَى الله فقد حارَبَهُ. وا لله لقد أدركتُ سبعينَ بدرياً أكثرُ لباسِهم الصُّوفُ[٣]، ولو رأيتموهم قُلتُمْ مَجانينُ، ولو رَأَوْا خِيارَكم[٤] لقالوا ماهؤلاء من خَلاقٍ![٥] ولو رأوا شِرارَكم لقالوا ما يُؤْمِنُ هؤلاء بيوم الحِساب! ولقد رأيتُ أقواماً كانتِ

(١) إيهِ: كلمةُ زَجْرٍ. بمعنى حَسْبُكَ، وهي مَبْنِيَّةٌ على الكَسْرِ، وتَنوَّنُ فيقال: «إيهاً» بالنَّصْب، أي: اسْكُتْ. وإيهِ كلمة اسْتِزادةٍ واسْتِنطاق، وهي مَبْنِيَّةٌ على الكسْرِ، تقولُ للرجلِ إذا اسْتَزَدْتَهُ من حديثٍ أو عملٍ: «إيه» بكَسْرِ الهاء في الوَقْفِ، فإنْ وَصَلْتَ نَوَّنْتَ فقلتَ: إيهٍ حَدِّثْنا. وقال بعض النحويين: إذا نَوَّنْتَ فقلتَ: «إيهٍ» فكأنَّكَ قلت استزادة، كأنَّكَ قلتَ: هات حديثاً ما، لأن التنوين تنكيرٌ، وإذا قلتَ: «إيهِ»، فلم تُنَوِّن، فكأنَّك قلتَ: الاستزادة، فصار التنوينُ علمَ التنكير، وتركُهُ علمَ التَّعْريف. (اللسان: إيه).

(٢) غَرَّه: خَدَعه.

(٣) لباسُهم الصُّوف: أي: ثيابُهم خَشِنَةٌ غليظةٌ. والصُّوفُ لِبَاسُ العُبَّادِ وأهْلِ الصَّوامعِ. أي: هم من الزُّهَّادِ العُبَّادِ.

(٤) الخِيَارُ: جَمْعُ خَيْرٍ وخَيِّرٍ، وهو الفَاضِلُ من الرجال.

(٥) الخَلاَقُ: النَّصِيبُ من الخَيرِ والصَّلاحِ والدِّين.

الدنيا أهْوَنَ على أحَدِهم من التُّرابِ تحتَ قَدَمَيْهِ، ولقد رأيتُ أقواماً يُمْسي أحَدُهم ومايَجِدُ عنده إلاّ قُوتاً،[١] فَيقولُ: لا أجْعَلُ هذا كُلَّه في بَطْني، لأَجْعَلَنَّ بَعْضَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ، وإنْ كانَ هو أحوجَ ممن يَتَصَدَّقُ به عليه».

٢٣ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

أمالي المرتضى ١: ١٥٤

والعقد ٣: ٢٠٢

تَلاَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يوماً قَوْلَهُ تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ثم قال:

«إنَّ قوماً غَدَوا في المَطارِفِ[٢] العِتاق[٣]، والعمائم الرِّقاق[٤]، يَطْلُبُونَ الإمارات، ويُضيِّعونَ الأماناتِ، يَتعرَّضُونَ للبَلاءِ[٥] وهم منه في عافيةٍ. حتى إذا أخَافوا مَنْ فَوْقَهم من أهلِ العِفَّةِ، وَظَلَمُوا مَنْ تحتَهم من أهل الذِّمةِ أهزَلُوا[٦] دِينَهم، وأسمَنُوا بَراذِينَهم[٧]، ووَسَّعوا دُورَهم، وضيَّقُوا قُبورَهم! ألم ترَهُمْ قد جدَّدُوا الثيابَ، وأخْلَقُوا الدِّينَ، يتَّكِئُ أحدُهم على شِمالِهِ، فيأكلُ من غَيْرِ مالِهِ، طعامهُ غَصْبٌ، وخَدَمهُ سُخْرةٌ؛ يدعو بحُلْوٍ بعدَ حامضٍ، وبحارٍّ بعد باردٍ، ورَطْبٍ بعد يابسٍ. حتى إذا أخذتْه الكِظَّة[٨]، تجشَّأ من البَشَمِ[٩]، ثم قال: ياجارية، هاتي حَاطُوماً[١٠] يهضِمُ الطَّعامَ! يا أُحَيْمِقُ! لا وا لله لنْ تهضِمِ إلاَّ دِينَك! أين جارُك! أين يتيمُك! أين مِسكِينُك! أين ماأوْصَاكَ ا لله عزَّ وجلَّ به»!

---

(١) القُوتُ: ما يُمْسِكُ الرَّمَقَ من الرِّزق، أي: بقية الحياة، أو ما يقومُ به بَدَنُ الإنسانِ من الطعام.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو الثَّوْبُ من خَزٍّ يُجْعَلُ في طَرَفَيْه عَلَمَان.

(٣) العِتاق: جمع عَتيق، وهو الكريم الرائع.

(٤) الرِّقاق: جمع رقيق، وهو الدقيقُ الخفيفُ الناعمُ غيرُ الثَّخين ولا الغليظِ، والشَّفُّ الذي يظهرُ ماتحته.

(٥) البلاء: الاختبار والامتحان.

(٦) أهزل دِينَه: أضعفه، أي: أهْمَلَهُ و لم يَعْمَلْ به.

(٧) البراذين: جمع برذون، وهو من الخيل ماكان من غير نتاج العراب، أي: العربيَّةِ المنسوبة إلى العرب.

(٨) الكِظَّة: غم وغِلْظَةٌ يَجِدُها الإنسان في بطنه عند الامتلاء من الطعام.

(٩) البَشَمُ: التُّخمَةُ، أي: أن يُكثِرَ الإنسان من الطعام حتى يَكْرَبَهُ.

(١٠) الحاطوم: الهاضوم، أي: الدواء الذي يَهْضِمُ الطعامَ.

٢٤ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

العقد ٣:٢١٢

وحلية الأولياء ٢:١٤٥

دَخل الحسنُ على عبدِ اللهِ بنِ الأهتمِ يَعوده في مَرضِهِ، فرآه يُصَعِّدُ بَصَرَهُ في صُندوقٍ في بَيْتِهِ ويُصَوِّبُهُ. ثمَّ التفتَ إلى الحسن، فقال: أباسَعيدٍ، ماتقولُ في مائة ألفٍ في هذا الصُّندوقِ لم أُؤَدِّ منها زكاةً، و لم أصِل بها رحماً؟ فقال له: ثَكِلَتْكَ أُمّك! ولمن كنتَ تجمعها؟ فقال: لِرَوْعةِ[١] الزَّمان، وجَفْوةِ السُّلطان، ومُكاثرةِ العشيرة. ثم ماتَ، فشَهِد الحسنُ جنازَته، فلمَّا فرَغَ من دَفنِهِ ضربَ بيده القَبْرَ، ثمَّ قالَ:

«انظرُوا إلى هذا، أتاه شَيْطانهُ فَحَذَّرَهُ رَوْعةَ[١] زمانِهِ، وجَفْوةَ سُلطانهِ، ومُكاثرةَ عشيرتهِ، عما اسْتودَعَهُ اللهُ واسْتَعْمَرَه[٢] فيه! انظُروا إليه يَخْرُج منها مَذْمُوماً مَدْحُوراً. ثمَّ قال: أيها الوارثُ، لاتُخْدَعَن كما خُدِعَ صُوَيْحبك بالأمسِ، أتاك هَذا المالُ حَلالاً فلا يكونُ عليك وَبالاً[٣]، أتاك عَفْواً[٤] صَفْواً ممن كان له جَمُوعاً مَنُوعاً، من باطلٍ جَمَعه، ومن حَقٍّ مَنَعهُ، قَطَعَ فيه لُجَجَ[٥] البحار، ومَفاوزَ[٦] القِفار، لم تَكْدَح[٧] فيه بيَمِينٍ، ولم يَعْرَق لك فيه جَبينٌ. إنَّ يومَ القيامةِ يومُ حَسْرَةٍ وندامةٍ، وإنَّ مِنْ أعظم الحَسَرَاتِ غداً أنْ تَرى مالكَ في ميزانِ[٨] غيرِك، فيا لها عثرةً لاتُقال[٩]، وتوبةً لاتُنال».

---

(١) الرَّوْعةُ: الفزعة، وهي المرة الواحدة من الفزع، أي: الرعب.

(٢) استعمرَ اللهُ عبادَه في الأرض: أي: طلبَ منهم العمارة فيها.

(٣) الوبال: الفساد والشَّرُّ و الشِّدَّة والمضرة. والمراد سوء العاقبة.

(٤) أتاك عفواً صفواً: أي: في سُهولةٍ ويُسْرٍ، وسراحٍ ورَواحٍ.

(٥) اللجج: جمع لجة، ولجة البحر: حيْثُ لايُدْرَكُ قَعْرُهُ.

(٦) المفاوز: جمع مفازة، وهي المَهْلكةُ والبَرِّيَّةُ القَفْر التي لاماء فيها.

(٧) كدح: عَمِلَ لنفسه وسَعَى وكَدَّ واكْتَسَبَ.

(٨) الميزان: الحسنات، أو الصَّحائف التي تُثْبَتُ فيها الأعمال.

(٩) عثرةٌ لاتقال: أي: زَلَّةٌ لا تُغْتَفَرُ ولايُصْفَحُ عنها.

٢٥ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٧

كانَ الحسنُ البَصْريُّ يقول:

«إنَّ المؤمنَ قَوَّامٌ[١] على نَفْسِهِ، يُحاسِبُ نَفْسَهُ لِلّه، وإنَّما خَفَّ الحِسابُ يومَ القيامة على قوم حَاسَبُوا أنْفُسَهم في الدُّنيا، وإنما شُقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قوم أخَذُوا هذا الأمَر على غيرِ مُحاسبةٍ. إنَّ المؤمنَ يَفْجَأهُ الشيءُ يُعْجِبُه فيقولُ: وا لله إني لأشْتهيكَ، وإنكَ لَمِنْ حاجتي، ولكن وا للهِ ما من وُصْلَةٍ[٢] إليكَ، هيهات! حِيلَ بيني وبينَك، وَيَفْرُطُ منه[٣] الشيءُ فيرجعُ إلى نَفْسِهِ، فيقولُ: ما أرَدْتُ إلى هَذا، مالي ولهذا! وا لله مالي عُذرٌ بها، ووا لله لا أعُودُ لهذا أبداً، إنْ شاءَ الله. إنّ المؤمنينَ قومٌ أوْثَقَهُم القرآن، وحالَ بينهم وبَيْنَ هَلَكَتِهم. إنَّ المؤمنَ أسيرٌ في الدُّنيا يسعى في فِكاكِ[٤] رَقبتِهِ لايأمنُ شيئاً، حتى يَلْقى الله عَزَّ وجَلَّ، يعلمُ أنه مأخوذٌ عليه في ذلك كله».

٢٦ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء ٢:١٤٦

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«وا للهِ لقد أدركتُ أقواماً ما طُوِيَ لأحَدِهم في بيتِهِ ثَوْبٌ قَطُّ، ولاأمرَ في أهلِهِ بِصَنْعَةِ طعامٍ قطُّ، وما جَعَلَ بَيْنَهُ وبينَ الأرضِ شيئاً قطُّ، وإنْ كانَ أحدُهم لَيَقولُ: لَوَدِدْتُ أني أكلتُ أكلةً في جَوْفي مثلَ الآجُرَّة، ويقولُ بلغنا أنَّ الآجرةَ تَبْقَى في الماءِ ثلثمائةِ سنةٍ. ولقد أدركتُ أقواماً إنْ كان أحدُهم لَيَرِثُ المالَ العظيمَ، وإنه وا لله لمجهودٌ[٥] شديدُ الجَهْدِ[٦]، فيقولُ لأخيهِ: يا أخي، إني

(١) قَوَّامٌ على نفسه: مَعْنِيٌّ بها، مُشْرِفٌ عليها، مَسؤُولٌ عنها.

(٢) الوُصْلَةُ: الذَّريعة والوسيلة والسَّبَبُ، وكلُّ شيءٍ اتَّصل بشيءٍ فما بينهما وُصْلَةٌ، والوُصْلةُ: ما اتَّصل بالشيء.

(٣) فَرَطَ منه شيءٌ أو كلامٌ أو قولٌ: أي: بَدَرَ وسَبَقَ وتَقدَّمَ.

(٤) فكاك رقبته: تَخْلِيصها وإطْلاقُها وإنقاذها من النَّار.

(٥) جُهِدَ الرَّجُلُ: وجَدَ مشقةً، وجُهِدَ الناسُ: أجْدَبُوا وأصابهم القَحْطُ. والمَجْهُود: المَهْزُولُ المُعْسِرُ المحتاج.

(٦) الجَهْدُ: المَشَقَّةُ والعَنَاءُ.

قد علمتُ أنَّ ذاَ مِيراثٌ، وهو حَلاَلٌ، ولكني أخافُ أنْ يُفْسِدَ عليَّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجةَ لي فيه، فلا يَرْزَأ[1] منه شيئاً أبداً، وإنه مَجْهُودٌ شديدُ الجَهْدِ».

٢٧ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٧

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«يا ابنَ آدمَ، إذا رأيتَ الناسَ في خيرٍ فَنافِسْهُم فيه، وإذا رأيتهُمْ في هَلكةٍ فَذَرْهُمْ وما اختارُوا لأَنْفُسِهم. قد رأينا أقواماً آثروا عاجلَتهُمْ على عاقِبتهم، فَذَلُّوا وهَلَكُوا وافْتَضَحُوا[2]. يا ابنَ آدمَ، إنما الحُكْمُ حُكْمان: فَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ اللهِ فإمامُ عَدْلٍ، ومَنْ حَكَم بغير حُكْمِ اللهِ فحكمُ الجاهليةِ. إنَّما الناسُ ثلاثةٌ: مؤمنٌ وكافرٌ ومنافقٌ، فأما المؤمنُ فعاملَ اللهَ بطاعتهِ، وأما الكافرُ فقد أذلَّهُ اللهُ كما قد رأيتم، وأما المنافقُ فهاهنا مَعَنا في الحُجَرِ والطُّرقِ والأسْواقِ نعوذُ باللهِ. واللهِ ماعَرَفُوا ربهم، اعتبرُوا إنكارَهم ربَّهم بأعمالِهم الخبيثةِ. وإنَّ المؤمنَ لايُصْبِحُ إلا خائفاً، وإنْ كانَ مُحْسِناً، لايُصْلِحُهُ إلاَّ ذلك، ولا يمسي إلاَّ خائفاً، وإن كان مُحْسناً، لأنه بَيْنَ مَخافَتَيْنِ: بينَ ذنبٍ قد مَضَى لايَدْري ماذا يَصْنَعُ اللهُ تعالى فيه، وبين أجلٍ قد بقيَ لا يَدْري ما يُصيبُ فيه من الهَلَكاتِ. إنَّ المؤمنينَ شُهُودُ اللهِ في الأرض، يَعْرِضُونَ أعمالَ بني آدمَ على كتابِ اللهِ، فما وافقَ كتابَ اللهِ حَمِدَ اللهَ عليه، وما خالفَ كِتابَ اللهِ عَرَفُوا أنه مخالفٌ لكتابِ اللهِ، وعَرَفُوا بالقرآن ضلالةَ مَنْ ضَلَّ مِن الخَلْق».

---

(١) رَزَأَ منه شيئاً: نالَهُ وأصَابَهُ.

(٢) افْتَضَحَ الرَّجُلُ: أي: ركبَ أمْراً سَيِّئاً فاشْتُهِرَ به. وفَضَحَ الشيءَ فافْتَضَح: أي: انكَشَفَتْ مَساوِئه.

٢٨ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْريِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٣

كانَ الحَسَنُ البَصْريُّ يقولُ:

«ما أكثر الرَّاغبينَ[١] عن سُنَّةِ نبيِّ ا لله ﷺ ! وما أكثرَ التّاركينَ لها! ثم إنَّ عُلوجاً[٢] فُسَّاقاً أكلةَ رِبا وغُلُولٍ[٣]، قد شَغَلَهُمْ رَبِّي عزَّ وَجَلَّ ومَقَتَهُمْ، زَعَمُوا أنْ لا بأسَ عليهم فيما أكَلُوا وشَرِبُوا وسَتَرُوا البيوتَ وزَخْرَفُوها، ويقولون: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. ويَذْهَبُونَ بها إلى غير ماذهبَ ا لله بها إليه، إنما جَعَلَ ا للهُ ذلكَ لأولياءِ الشَّيْطانِ، الزِّيْنَةُ ما رُكِبَ ظهرُهُ، والطَّيباتُ ما جَعَلَ ا للهُ تعالى في بُطُونِها، فَيَعْمَدُ أحدُهم إلى نعمةِ ا للهِ عليه فَيَجْعَلُها مَلاَعِبَ لِبطْنِهِ وفَرْجِهِ وظَهْرِهِ! ولو شاءَ ا للهُ إذ أعْطَى العبادَ ما أعطاهم أباحَ ذلك لهم، ولكن تَعقَّبَها بما يسمعون، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. فمن أخذَ نعمةَ ا لله وطُعْمَتَهُ أكلَ بها هَنِيئاً مَرِيئاً، ومن جَعَلَها ملاعبَ لبطنهِ وفرجهِ وعلى ظَهْرِهِ جعلَها وبالاً[٤] يومَ القيامة»!

٢٩ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٣

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ:

«المؤمنُ مَنْ يَعْلَمُ أنَّ ما قالَ ا للهُ عزَّ وجلَّ كما قالَ، والمؤمنُ أحسنُ الناسِ عملاً، وأشدُّ الناسِ خَوْفاً، لو أنفقَ جبلاً من مالٍ مأمِنَ دونَ أن يُعايِنَ[٥]، لا يزدادُ صلاحاً وبراً

---

(١) رغِبَ عن الشيء: تركَهُ مُتَعمِّداً وزَهَدَ فيه ولم يُرِدْهُ.

(٢) العُلُوج: جمع علج، وهو الرجل الشديد الغليظ، وقيل: هو كل ذي لحيةٍ. والعلج: الرجل من كفار العجم.

(٣) الغُلُولُ: الخيانةُ في المَغْنَمِ والسَّرقة من الغنيمة.

(٤) الوبال: الفَسَادُ والشر والشِّدةُ والمَضَرَّةُ، والمراد سوء العاقبة.

(٥) عايَنَ الشَّيءَ مُعايَنةً وعياناً: رآه بعينه.

وعبادةً إلاَّ ازدادَ فَرَقاً[١]: يقول: لا أنْجُو، والمنافقُ يقولُ: سوادُ الناسِ[٢] كثيرٌ، وسَيُغْفَرُ لي، ولا بأسَ عليَّ. فَيُنسِيُ[٣] العَمَل، ويَتمنَّى على الله تعالى».

٣٠ ـ مَوْعِظَةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

البيان والتبيين٣:٨٨
وعيون الأخبار ٢:٣٤٤
وحلية الأولياء ٢:١٤٣، ١٥٤
وشرح نهج البلاغة ٥:١٤٧

قال الحسنُ البَصْرِيُّ يَعِظُ النَّاس:

«يا ابنَ آدم، بِعْ دنياك بآخرتك تربحُهما جميعاً، ولاتَبِعْ آخرتَك بدنياك فتخسَرهما جميعاً. يا ابن آدم، إذا رأيتَ الناسَ في الخير فَنافِسْهم فيه، وإذا رأيتهم في الشَّرِ فلا تَغْبِطْهُم فيه. الثواء[٤] هاهنا قليلٌ، والبقاء هناك طويلٌ!؟ أُمَّتكم آخرُ الأمم، وأنتم آخرُ أمتكم، وقد أُسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ المعاينة!؟ فكأن قد! هيهاتَ! هيهاتَ! ذهبتِ الدنيا بحالٍ بالها[٥]، وبقيت الأعمالُ قلائدَ في أعناق بني آدم. فيالها مَوْعظةً لو وافقتْ من القلوب حياةً! أما إنه وا لله لا أمةَ بعد أمَّتكم، ولا نَبيَّ بعد نبيِّكم، ولا كتابَ بعدَ كتابكم. أنتم تَسُوقونَ الناسَ والساعةُ تَسُوقكم، وإنما يُنتظر بأولكم أنْ يَلْحَقَهُ آخرُكم. من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً[٦]، لم يَضَعْ لَبِنةً[٧] على لَبِنةٍ، ولا قَصَبةً[٨] على قَصَبةٍ، رُفِعَ له عَلَم[٩] فشَمَّرَ[١٠]

(١) الفَرَقُ: الخوفُ والفزعُ.
(٢) سوادُ النَّاسِ: جماعتهم.
(٣) أنْسأ العملَ: أجَّلَهُ وأخَّرَهُ.
(٤) الثواء: الإقامة والبقاء.
(٥) البال: رخاء العيش.
(٦) رآه غادياً ورائحاً: أي: يَسْعَى في كَسْبِ الضَّروريِّ من العَيش.
(٧) اللبنة: الآجُرَّة أو الطوبة المضروبة من الطين. والمراد أنه لم يَبْنِ لنفسه بيتاً.
(٨) القصبة: واحدة القصب، وهو كل نباتٍ ذي أنابيب.
(٩) العلم: الراية.
(١٠) شَمَّرَ: جَدَّ واجْتَهد.

إليه. فالوَحاءَ الوَحاءَ[١]، والنَّجاءَ النَّجاء! علامَ تُعَرِّجُون! أُتيتُم وربِّ الكعبةِ، قد أُسْرِعَ بخياركم وأنتم كلَّ يَومٍ تَرْذُلون[٢]، فماذا تنتظرون! إن الله تبارك وتعالى بعثَ محمداً ﷺ على علمٍ منه، اختاره لنفسه، وبَعثَهُ برسالته، وأنْزَلَ عليه كتابهُ، وكان صَفْوَتَهُ من خَلْقِهِ، ورسولَهُ إلى عباده. ثمَّ وَضَعَهُ من الدنيا مَوْضِعاً يَنْظُرُ إليه أهلُ الأرض، وآتاه منها قُوتاً وبُلْغةً[٣]، ثمَّ قالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فَرَغِبَ أقوامٌ عن عَيْشه، وسَخِطُوا ما رَضِيَ له ربُّه، فأبْعَدَهم الله وسَحَقَهم! يا ابنَ آدمَ، طَأ الأرضَ بِقَدَمِك، فإنها عن قليلٍ قَبْرُك، واعلمْ أنك لم تَزَلْ في هَدْمِ عُمْرِك منذ سَقَطْتَ من بَطنِ أمِّك. رحم الله رجلاً نَظَرَ فتفكَّرَ، وتفكَّرَ فاعتبرَ، وأبْصَرَ فَصَبر، فقد أبصر أقوامٌ ولم يَصْبِرُوا، فذهب الجَزَعُ بقُلُوبهم، ولم يُدْرِكوا ما طَلَبُوا، ولم يَرْجِعُوا إلى مافارَقُوا، يابنَ آدم، اذكر قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. عَدَلَ، وا للهِ، عليكَ مَنْ جَعَلَكَ حسيبَ نَفْسِك! خذوا صَفَاءَ الدنيا، وذَرُوا كَدَرَها، فليس الصَّفْوُ ماعادَ كَدَراً، ولا الكَدَرُ ما عادَ صَفْواً. دَعُوا ما يُرِيبكم إلى مالا يُرِيبكم[٤]. ظهرَ الجَفاءُ، وقَلَّتِ العُلَماءُ، وعَفَتِ[٥] السُّنَّةُ. وشاعت البِدْعَةُ. لقد صَحِبْتُ أقواماً ما كانت صُحْبَتُهم إلاَّ قُرَّةَ العينِ[٦] وجلاءَ الصُّدورِ[٧]. ولقد رأيتُ أقواماً كانوا لِحَسناتهم أشفقَ من أنْ تُرَدَّ عليهم منكم من سَيِّئاتكم أن تُعَذَّبُوا عليها، وكانوا فيما أحلَّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم

---

(١) يقولون: الوَحَى الوَحَى، والوَحَاءَ الوَحَاء: بمعنى المبادرة والعجلة والإسراع، يَمُدُّونهما ويَقْصُرونهما إذا جمعُوا بينهما، فإذا أفردوه مَدُّوه و لم يَقْصرُوه.

(٢) تَرْذُلون: تُصْبحون أرذالاً، والرَّذْل: الدُّون الخسيسُ من الناس.

(٣) البُلْغَةُ: ما يُتَبَلَّغ به من العيش، أي: يُكْتَفى به، ولا فَضْل فيه.

(٤) دَعُوا مايُريبكم إلى مالايُريبكم: أي دَعُوا ما تَشكُّون فيه إلى مالاتشكون فيه.

(٥) عَفَت: دَرَست.

(٦) قرة العين: أي تَجْلبُ الرضاء والسرور والفَرحَ.

(٧) جلاءَ الصدور: أي: تُزيلُ ماأصَابَها من الهم والحزن.

فيما حَرَّم ا لله عليكم منها! مالي أسمعُ حَسِيساً[١] ولا أرى أنيساً! ذهبَ الناسُ وبقي النَّسْنَاسُ[٢]! لو تكاشفتم ماتَدافَنْتم، تَهادَيْتُمُ الأطباقَ ولم تَتَهادَوا النَّصائح. قال ابن الخطاب: «رَحِمَ ا للهُ امرأً أهدى إلينا مَساوِينا». أَعِدُّوا الجوابَ فإنكم مَسْؤولون. المؤمنُ لم يأخذْ دينه عن رأيه، ولكنه أخذه من قِبَل رَبِّه. إن هذا الحقَّ قد جَهَدَ أهله[٣]، وحالَ بينهم وبين شَهَواتهم، وما يصبرُ عليه إلا من عَرَفَ فضلَهُ ورَجَا عاقبته. فمن حَمِدَ الدنيا ذمَّ الآخرة، وليس يكرهُ لقاء ا لله إلا مُقِيمٌ على سَخَطِه. يا ابنَ آدمَ، الإيمان ليس بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمني، ولكنه ماوَقَرَ في القلب وصَدَّقَهُ العَملُ».

٣١ ـ مَوْعِظَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ لأَهْلِ البَصْرَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٦:٥٩٤

قالَ الحسنُ البصريُّ يَعِظُ النَّاسَ ويُثَبِّطُهم عن الخروجِ مع يزيدَ بنِ المُهَلَّب:

«أيّها الناس، الزموا رحالَكم، وكفّوا أيديَكم، واتقوا ا لله مولاكم، ولا يقتل بعضُكم بعضاً على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير، ليس لأهلها بباق، وليس ا لله عنهم فيما اكتسبوا براض. إنه لم تكن فتنة إلاّ كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التِّيهِ[٤] والخُيَلاء[٥]، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفيُّ والمعروف التقي. فمن كان منكم خفيًّا فليلزم الحقّ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدّنيا، فكفاه وا لله بمعرفة ا لله إياه بالخير شرفاً؛ وكفى له بها من الدّنيا خَلَفاً. ومَنْ كان منكم معروفاً شريفاً، فترْكَ ما يتنافس فيه نظراؤه من الدّنيا إرادةَ ا لله بذلك، فَواهاً لهذا! ماأسعَدهُ وأرشدَهُ وأعظمَ أجْرَهُ وأهْدَى سبيلَهُ! فهذا غداً[٦] القريرُ عيناً، الكريم عند ا لله مآباً».

---

(١) الحَسيس: الصوت الذي تسمعه مما يَمُرُّ قريباً منك ولا تراه، وهو عام في الأشياء كلها.

(٢) النسناس: دابة في عِدادِ الوَحْش تصادُ وتؤكل، وهي على شكل الإنسان بعينٍ واحدةٍ ورجلٍ ويدٍ، تتكلم مثل الإنسان. والمراد الذين يَتشَبَّهون بالناس وليسوا من الناس.

(٣) جَهَدَ أهْلَهُ وأجْهَدَهم: أي: أتْعَبَهم وحَمَّلهم فوق طاقتهم.

(٤) التِّيهُ: الصَّلَفُ والكِبْرُ.

(٥) الخُيلاء: الكِبْرُ و العُجْبُ.

(٦) غداً: يعني يومَ القيامة.

٣٢ ـ وقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

أنساب الأشراف ٨:٣٠٨
وتاريخ الرسل والملوك٦:٥٨٧
والكامل في التاريخ ٥:٧٦

يا عَجَباً من يزيدَ! إنَّه بالأمسِ يَضْرِبُ أعناقَ هؤلاء الذين اتَّبَعُوه تَقَرُّباً[١] إلى بني مروانَ. حتى إذا منعوه شيئاً من دُنْيَاهم، وأَخَذُوهُ[٢] بحقِّ ا لله عليه غَضِبَ، فَعقَدَ خِرقاً[٣] على قَصبٍ[٤]، ثم نَعَقَ[٥] بأعلاجٍ[٦] فاتَّبعُوهُ. وقال: إني قد خَالَفْتُ هؤلاء فخالِفُوهم. ثم يَدْعُوهم إلى كتابِ ا للهِ وسيرةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ! ألاَ وإنَّ من سيرةِ الخلفاءِ الراشدينَ أنْ يُوضَعَ في رجله قَيْد، ويُرَدَّ إلى مَحْبسِ عُمَرَ، فقالَ رجلٌ للحسن: كأنَّك راضٍ عن أهلِ الشَّام؟ فقال: قَبَّحَ[٧] ا لله أهل الشَّام وتَرَّحَهُم[٨]! أليسوا الذين أَحلُّوا[٩] حَرَمَ رسولِ ا لله ﷺ ثلاثةَ أيَّامٍ، وأباحُوهُ[١٠] أنباطهم[١١] وأقباطهم[١٢]، لايتناهون[١٣] عن سيئة ولا انتهاك[١٤] حرمة. ثم نصبوا المجانيق يرمون بيت ا لله، فلم يَهِجْ[١٥] يزيدُ الحسَن، وكفَّ عنه».

---

(١) التَّقَرُّبُ: التَّدَنِّي والتَّوَصُّل والتَّزَلُّف.
(٢) أخذه بحقِّ ا لله: حَبَسَهُ به وجَازاهُ وعاقبه.
(٣) الخِرَقُ: جمع خِرْقة، وهي القطعة من الثَّوْب.
(٤) القَصَبُ: كلُّ نباتٍ كان ساقُهُ أنابيبَ وكعوباً، واحدته قَصَبَةٌ.
(٥) نَعَقَ: صاح.
(٦) الأعلاج: جمع علج، وهو الرجل الشديد الغليظ، وقيل: هو كل ذي لحية.
(٧) قَبَّحَهُ ا للهُ: صَيَّرَهُ قبيحاً.
(٨) تَرَّحَهُ ا لله: أحْزَنَهُ أو قَطَعَهُ وأهْلَكَهُ.
(٩) أحَلَّهُ: جعله حلالاً.
(١٠) أباحَهُ: أحَلَّهُ وأنهبَهُ.
(١١) الأنباط: جيلٌ ينزلون سَوادَ العِراقِ، أي: رِيفَهُ وقُرَاهُ.
(١٢) الأقباط: جيلٌ بمصر.
(١٣) تَناهَوْا عن سيئةٍ: نَهَى بعضُهم بعضاً، أو انْتَهَوا. أي: كَفُّوا.
(١٤) انْتَهَكَ الحُرْمَةَ: تناوَلَها بما لا يَحِلُّ.
(١٥) هاجَهُ: أزعَجَهُ وأثاره.

٣٣ ـ قالَ الحَسَنُ البصريُّ:

أنساب الأشراف٨:٣٣٢

«عجباً لهذا الحمار النَّهاق يَدْعُو ـ زَعَمَ ـ إلى كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ، وقد نَبَذَهما[١] وراءَ ظهره. اللهمَّ اصْرَعِ[٢] ابنَ المُهَلَّبِ صَرْعَةً تَجْعَلُهُ بها نَكَالاً[٣] لَما بينَ يَدَيْهِ وما خَلْفَه، ومَوْعِظةً للمُتَّقِينَ! واعجباً لهذا الحمارِ النَّهاقِ بَيْنَا هو يَضْرِبُ أعْنَاقَنَا بالأمسِ تَقَرُّباً[٤] إلى بني أميَّةَ، إذْ رَأى منهم نَبْوةً[٥] وأصابَتْهُ جَفْوَةً[٦] فَنَصَبَ[٧] قَصَباً[٨] عليها خِرَقٌ[٩]، ثمَّ قال: أدْعُوكم إلى السُّنَّةِ! ألاَ وإنَّ من السُّنَّةِ أنْ تُجْعَلَ رِجْلاهُ في قيدٍ، ويُجْعَلَ حَيْثُ جَعَلَهُ عُمَرُ بالأمسِ»!

٣٤ ـ وقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

أنساب الأشراف ٨:٣٠٩

«فَاسِقٌ[١٠] قَاتَلَ النَّاسَ مع هؤلاء على غَيْرِ هُدىً، ثم غَضِبَ غَضْبَةً، فَعَقَدَ خِرقاً[١١] على قصب[١٢]، ثم نَعَقَ[١٣] بأعلاجٍ[١٤] وَطَغَامٍ[١٥] فاتَّبَعُوهُ، فهو يزعمُ أنَّه يَدْعُوهُمْ إلى كتابِ اللهِ،

(١) نَبَذَهما وراءَ ظَهْرِه: ألْقَاهما وطَرَحَهُما ورَمَى بهما. والمراد لم يَعْمَلْ بهما.
(٢) صرعه: طرحه بالأرض. والمراد قَتَلَهُ.
(٣) النَّكالُ: العِبْرةُ، يقال: نَكَّلَ بفلان تنكيلاً إذا عَاقَبَهُ في جُرْمٍ أجْرَمَهُ عُقُوبَةً تُنَكِّلُ غَيْرَهُ عن ارْتِكاب مِثله، أي: تردَعُه وتمنعه.
(٤) التَّقرُّب: التَّدَنِّي والتَّوَصُّلُ والتَّزَلُّفُ.
(٥) النَّبْوةُ: التَّجافي والإهْمَالُ، أو الاحْتقارُ والابْتذَالُ.
(٦) الجَفْوَةُ: تَرْكُ الصِّلة والبِرِّ.
(٧) نَصَبَ: أقامَ ورَفَعَ.
(٨) القَصَبُ: كلُّ نباتٍ كان ساقُهُ أنابيب وكُعُوباً، واحِدَتُهُ قَصَبَةٌ.
(٩) الخِرَقُ: جمع خرقةٍ، وهي القِطْعةُ من الثوبِ.
(١٠) الفاسقُ: العاصي الخارجُ عن الدِّين التَّاركُ لأمْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.
(١١) الخِرَقُ: جمع خِرْقَةٍ، وهي القطعة من الثوب.
(١٢) القَصَبُ: كلُّ نباتٍ كان ساقُهُ أنابيب وكُعُوباً، واحِدَتُهُ قَصَبَةٌ.
(١٣) نَعَقَ: صاح.
(١٤) الأعلاج: جمع علجٍ، وهو الرجل الشديد الغليظ، وقيل: هو كل ذي لحيةٍ.
(١٥) الطَّغامُ: أرْذَالُ النَّاس وأوْغَادُهم.

وسُنَّةِ رسولهﷺ ، وسيرةِ الخلفاءِ الرَّاشِدينَ! ألاَ وإنَّ من سيرةِ الخلفاءِ الراشدين أنْ يُوضَعَ في رِجْلِهِ قيدٌ، ويُردَّ إلى حَبْسِ عُمَرَ».

٣٥ ـ وقالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

أنساب الأشراف ٨:٣٠٩

«أَلَمْ تَرَوْا إلى عَدُوِّ اللهِ ابنِ المُهَلَّبِ يَدْعُو إلى كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وقد نَبَذَهُما[١] وراءَ ظَهْرِه»!

٣٦ ـ مَوْعِظَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ لِمَسْلَمَةَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ

أمالي المرتضى ١:١٥٨

قالَ مَسْلَمةُ بنُ عبدِ المَلِكِ للحسنِ البَصْرِيِّ: عِظْني، فقال:

«إذا نَزَلْتَ عنَ المِنْبرِ فاعْمَلْ بما تَكَلَّمْتَ به! فقال: عِظْني، فقال: أوُلِّيتَ قَطُّ؟ فقال: نعم. قال: فما كنتَ تُحِبُّ أنْ يُؤتَى إليك[٢] فأتِه إلى مَنْ وَلِيتَه».

٣٧ ـ مَوْعِظَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ لِرَجُلٍ

البيان والتبيين ٣:٩٣

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ لِرَجُلٍ:

«أبا فُلان، أتَرْضَى هذه الحالَ التي أنت عليها لِلموتِ إذا نَزَلَ بك؟ قال: لا. قال: أفَتُحَدِّثُ نَفْسَكَ بالانتقالِ عنها إلى حالٍ تَرْضاها لِلموتِ إذا نَزَلَ بك؟ قال: حديثاً بغيرِ حقيقةٍ! قال: أفبعدَ الموتِ دار فيها مُسْتَعْتَبٌ[٣]؟ قال: لا. قال: فهل رأيتَ عاقلاً رَضِيَ لنفسهِ بمثلِ الذي رَضِيتَ به لِنفْسِكَ»؟

---

(١) نَبَذَهما: ألْقاهما وطَرَحَهُما ورَمَى بهما. والمراد لم يَعْمَلْ بهما.

(٢) يُؤْتى إليك: يصير إليك ويَتَحَقَّقُ لك.

(٣) اسْتَعْتَبَ: رجعَ عن الإساءة، وطَلَبَ الرِّضَا، ومنه الحديث: «ولابعدَ المَوْتِ من مُسْتَعْتَبٍ»، أي: ليس بعدَ الموت من استِرضاءٍ، لأن الأعمالَ بَطَلَتْ وانْقَضَى زمانها، وما بعد الموت دَارُ جزاءٍ لادَارُ عَمَلٍ. (اللسان: عتب).

٣٨ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٤٦
وأمالي المرتضى ١:١٥٨

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«يا ابن آدم، سَرْطاً سَرْطاً[١]، جمعاً جمعاً في وعاء، وشدًّا شدًّا في وِكاء[٢]، رُكُوبَ الذَّلُولِ[٣] ولُبُوسَ اللَّيِّنِ[٤]، ثم قيل مات فأفضى وا لله إلى الآخرة. إن المؤمن عمل لله تعالى أياما يسيرة، فوا لله ماندم أن يكون أصاب من نعيمها ورخائها، ولكن راقت الدنيا له، فاستهانها وهضمها لآخرته، وتزود منها. فلم تكن الدنيا في نفسه بدار، ولم يرغب في نعيمها، ولم يفرح برخائها، ولم يتعاظم في نفسه شيءٌ من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند ا لله، ولم يحتسب نوال الدنيا حتى مضى راغباً راهباً فهنيئاً هنيئاً. فأمَّنَ ا لله بذلك رَوْعَتَهُ، وستر عورته، وَيَسَّرَ حسابه، وكان الأكياس من المسلمين يقولون: إنما هو الغُدُوُّ والرَّواحُ وحظٌّ من الدلجة[٥] والاستقامة، لا يُلْبِثُكَ يا ابن آدم على الخير، حتى إن العبد إذا رزقه ا لله تعالى الجنة فقد أفلح. وإن ا لله تعالى لا يخدع عن جَنَّته ولا يعطي بالأماني، وقد اشتدَّ الشحُّ، وظهرت الأماني، وتمنّى المتمني في غروره».

---

(١) السرط: البلع.

(٢) الوكاء: رباط القربة وغيرها يُشَدُّ به رأسها. والوكاء هاهنا كالجراب.

(٣) دابةٌ ذلولٌ: سهلة منقادة.

(٤) اللِّيِّنُ: الناعم.

(٥) الدلجة: السير في الليل.

٣٩ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٤٥

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ:

«رحِمَ ا لله امرءاً عرف ثم صبر، ثم أبصر فَبَصُرَ، فإن أقواماً عرفوا فانتزعَ الجزعُ أبصارَهم، فلاهم أدركوا ما طلبُوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا، اتقوا هذه الأهواء[١] المضلة البعيدة من ا لله التي جِماعُها[٢] الضلالة، وميعادها[٣] النار لهم محنة، مَنْ أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته. يا ابن آدم، دينَك دينك، فإنه هو لحمُكَ ودَمُك، إنْ يَسْلَمْ لك دينُك يَسْلَمْ لك لحمك ودمك. وإن تكن الأخرى فنعوذ با لله، فإنها نار لا تُطْفَى وجُرْحٌ لا يبرأ، وعذابٌ لا يَنْفَدُ أبداً، ونفسٌ لا تموت. يا ابنَ آدم، إنك موقوفٌ بين يَدَيْ ربك ومُرْتَهنٌ بعَمَلكَ، فخذ مما في يديك لما بين يديك، عندَ الموت يأتيك الخبر، إنك مسؤول ولا تجدُ جواباً. إنَّ العبد لا يزال بخيرٍ ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة من هَمِّه».

٤٠ ـ مَوْعِظةٌ للحَسَنِ البَصْرِيِّ

حلية الأولياء ٢:١٥٤

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ لأصْحَابِهِ حينَ حَضَرَهُ المَوْتُ:

«مانُهِيتُمْ عنه من أمرٍ فكُونُوا من أتْرَكِ النَّاسِ لـه، وما أُمِرْتُمْ به من مَعْروفٍ فكونُوا من أعْمَلِ النَّاس بـه. واعْلَمُوا أنَّ خُطَاكم خُطْوَتَانِ: خُطْوَةٌ لكم، وخطوةٌ عليكم، فانْظُرُوا أينَ تَغْدُونَ[٤] وأينَ تَرُوحُونَ[٥]».

---

(١) الأهواء: جمع هَوًى، وهو هَوَى النَّفس، أي إرادَتُها ورَغْبَتُها وشَهْوَتها.

(٢) جِماعُ الشيء: جَمْعُهُ، أي: ما جَمَعَ عدداً، يقال: الخمرُ جماعُ الإثم، أي: مَجْمَعُهُ ومظِنَّتُهُ. وقال الزمخشري: «عن الحسن: «اتقُوا هذه الأهواء التي جِماعُها الضَّلالَةُ وميعَادُها النار»، أي: التي تَجْمَعُ الضلالة. (أساس البلاغة: جمع، وانظر اللسان: جمع).

(٣) المِيعَاد: الوَقتُ والموْضعُ، أي: مكانها.

(٤) غدا: ذهب.

(٥) راح: رجع.